٤٠

مجلة
روايات أحلام

ابتسامة الذئب

www.elromancia.com

مرمورية

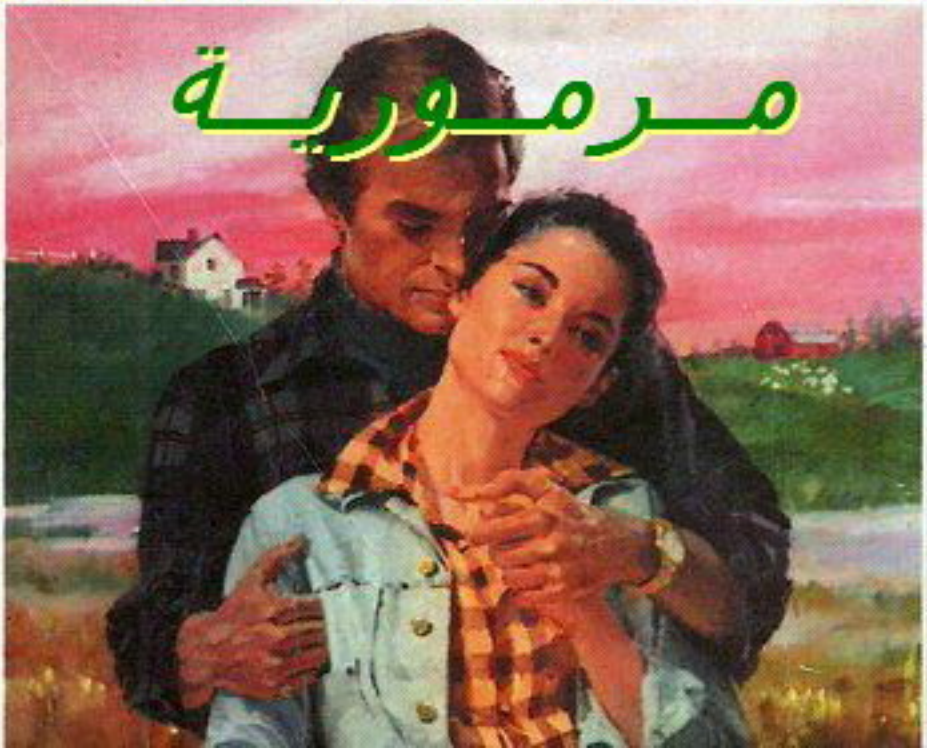

مجلة روايات أحلام

ابتسامة الذئب

قررت أنيتا كوين الصحفية أن يكون صيدها هذه المرة مورتيمور لويد الشهير، فلاحقته بحثاً عن مخبأه المنيع. وقبل أن تدرس خطواتها وجدت نفسها وحيدة معه في مزرعة حدودها السماء، لا حارس لها إلا الذئاب.

مورتيمور لويد رجل جذاب وخطير، وأنيتا امرأة علقت في فخ نصبته لغيرها. وبينهما كذبة تكبر يوماً بعد يوم..

www.alromancia.com

لبنان ١٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ أين بيته؟

تقلبت أنيتا كوين، على الكرسي المعدني القابل للطي وأطلقت تنهيدة من لا يشعر بالراحة. إن من اخترع هذا الكرسي سادي يتلذذ بتعذيب البشر. كان المتحدث في مقدمة الغرفة الضخمة العابقة بالدخان يتابع حديثه بنبرات رتيبة مملة، يحث بها مستمعيه المسحورين على تحسين مسيرة حياتهم وثروتهم بشراء أحد الكتب المبهرجة الغلاف المعروضة في مؤخرة الغرفة، لكن أنيتا ما عادت تصغي. مدت بعفوية يدها الى حقيبة يدها العميقة، وأطبقت بها على الة التسجيل الصغيرة الفعالة. لقد سمعت وسجلت أكثر مما يكفيها.

بعد أسبوعين من مقابلات أجرتها مع أعضاء من منظمة النجاح الروحي السابقين الساخطين، وبعد قضاء يوم ونصف مدعية أنها مشاركة جديدة مؤمنة بالتنظيم، اقتنعت أن هذه المنظمة ليست إلا خداع ووهم. وقد حان لها أن تعود الى مكتبها في إدارة المجلة الشهيرة لتشرع في كتابة مقالة العدد الشهري المقبل.

تناولت أنيتا معطفها عن ظهر الكرسي ثم نهضت.. كانت تجلس على مقعد خلفي في الغرفة الكهفية الشكل.. لكن مغادرتها المبكرة جلبت نظرات عابسة من الجالسين قريباً منها كما جذبت اهتمام رجل خشن المظهر واقف قرب الباب.. ابتسم لها ببرود

عندما مدت يدها الى أكرة الباب وهز رأسه:

ـ الى أين؟ لقد قال لنا الدكتور دراسكول إن علينا إذا أردنا الاستفادة التامة، أن نمكث بعد الظهر كله. ألم تسمعيه يقول ذلك؟

ـ لقد حصلت على المنفعة التي أستطيع استيعابها حتى الآن. شكراً لك.

قطب الشاب، وقال بصوت ناعم، شرير:

ـ لا أظنك تفهمين. لن يغادر أحد القاعة دون موافقة الدكتور دراسكول.

رنت بطرف عينها فشاهدت رجلاً آخر يتحرك نحوها كان أطول من الشاب الذي يكلمها وأكثر خشونة. ولم يكن على وجهه أي دليل على الابتسام. فأجبرت بسمة جميلة على شفتيها ورمشت بجفنيها للرجل الواقف في طريقها:

ـ بالطبع لن نغادر.

كان صوتها أجش قليلاً، حتى كادت لا تتعرف إليه، فقد قضت الصباح صامتة تصغي الى الدكتور دراسكول وهو يتحدث عما يطلق عليه اسم «نظرية الانعتاق الصوتي» وتابعت:

ـ كل ما عنيته أنني... مضطرة الى...

وغضت طرفها مدعية الحياء:

ـ أترى.. كنت ملهوفة الى سماع خطبة الدكتور بعد الغداء حتى نسيت دخول الحمام، لقد أردت الحصول على كل استفادة ممكنة من جلسته.. لذا نسيت أمر الحمام...

ارتفع نظره المرتاب الى معطفها فابتسمت:

ـ لست أتطلع شوقاً للذهاب الى هناك، فالمكان بارد كالثلاجة. شخص ما يجب أن يشكو للإدارة. ألا تظن أن عليهم

وضع تدفئة هناك؟ مع أنني في الشتاء المنصرم.. وفي مبنى الشقة التي أسكن فيها...

أحست بالراحة عندما رأت ملامح الضجر على وجه الشاب:

ـ حسناً.. حسناً.. يا سيدة. لكن لا تتأخري كثيراً. فأنت بالتأكيد لا ترغبين في أن يفوتك الجزء التالي من خطاب الدكتور.

ـ طبعاً. سأعود في لحظات.

كادت تحس بنظرته على ظهرها وهي تسير بسرعة فوق الممر الرخامي.. توقفت متعمدة أمام باب الحمام ثم التفتت إليه مبتسمة، حدق إليها قليلاً ثم عاد الى قاعة الاجتماعات موصداً الباب خلفه.. فتنفست أنيتا الصعداء ثم ركضت نحو المصاعد...

ضغطت أزرار الاستدعاء مراراً تتمتم بخوف «هيا» ونظرت بقلق الى الخلف حيث الممر مايزال خالياً.. لكن حتام؟ وضغطت الزر ثانية قلقة. أخيراً وصل أحد المصاعد وانفتح بابه:

ـ انسة.. انتظري لحظة... هاي.. توقفي حيث أنت...

حين كان ينغلق باب المصعد لمحت الرجلين يتسابقان نحوها. ثمة شائعات تقول إن جماعة «النجاح الروحي» يستخدمون العنف الجسدي مع الأعضاء الجدد المترددين. بل لقد ادعى عضوان ممن قابلتهم أنيتا أنهما تعرضا للعنف حين تركا المنظمة... وقد أدركت من خلال النظرة المصممة على وجه ملاحقيها أن هذا وارد...

كان المصعد ينزل بسرعة الى الأسفل، إذا حالفها الحظ، سيصل الى المدخل قبل وصول الرجلين اللذين هما الآن دون شك يقطعان الدرج قفزاً باتجاه المدخل الرئيسي. سارعت الى خلع معطفها، تتمتم بارتياح لأنه معطف يستخدم على الوجهين.

قلبته وارتدته على الجهة الثانية ثم تناولت من حقيبتها قبعة بنية لونها يشبه اللون الذي بدا الآن من المعطف، ورفعت شعرها

الكستنائي وأخفته تحتها، ثم أنزلت أطرافها لتخفي بها معظم تقاطيع وجهها. وعندما توقف المصعد في الطابق السفلي أخرجت نظارة شمسية كبيرة ووضعتها على عينيها. بعد أن أطلقت نظرة سريعة على المدخل أسرعت خارجة باتجاه الباب الأمامي.

حين خطت خطوة الى الشارع عصفت بها ريح باردة قوية. كان الثلج يتساقط خفيفاً فوق جبال الفولاذ والزجاج في شارع أوكسفورد الذي تتسابق أبنيته في الارتفاع حتى يصل أعلاها الى ما يزيد عن المئة والخمسة والثمانين متراً. . . وكان الطقس يعد بأن ينتهي مثلما ابتدأ، بكآبة موحشة كما هي العادة في لندن أيام الشتاء. ومع أن الوقت ظهراً، إلا أن السماء المكفهرة بدأت تظلم.

سارعت أنيتا نحو الزاوية، تحاول أن تضيع نفسها بين جموع لندن المحتشدة في الشوارع. . أحست بالغباء لأنها تضع نظارة شمسية في مثل هذا اليوم. لكنها كانت تعلم أن ما من أحد سيلاحظ هذا. . فأهل لندن تعلموا بتحفظهم الشهير أن يعزلوا أنفسهم عما يحيط بهم متجاهلين كل ما قد يبدو لهم غير طبيعي، وهذا أمر لا يدعو للراحة خاصة إذا كان يعني أن رجال المدينة قد يشيحون وجوههم عنها حين يمسك بها من يلاحقها. نعم ربما ليسا مؤذيين إلا أنهما سيجدان دون شك مسجلتها الصغيرة وملاحظاتها التي عليها حمايتها.

ما إن وصلت الى الجهة المعاكسة من الشارع حتى نظرت أنيتا من فوق كتفها. أجل ها هما هنا، ينظران يميناً وشمالاً صعوداً ونزولاً في اتجاهي الشارع بحثاً عنها. . ليس أمامها إلا منعطفان آخران حتى تلج شارع «فليت» الشهير. وهو الشارع الذي يحوي معظم إدارات الصحف والمجلات في لندن، وهذا يعني أنها سرعان ما تدخل مكتبها متنفسة الصعداء. كانت تتصور مقدمة

المقال. . إن هذه المطاردة في الشارع ستكون جزءاً من المقال كذلك، بل ستكون لمسة من الإثارة تستقطب اهتمام قراء قسم الشائعات الذين سيشهقون من الخوف والسرور. . .

وسمعت صوتاً يصيح:

ـ ها هي هناك. . ! هاي. .

لم تكن بحاجة الى الالتفات خاصة وهي تسمع وقع الاقدام السريعة الراكضة وراءها، فما كان منها إلا أن ركضت أيضاً. . كان أمامها زقاق ضيق، بدا وكأنه يقود الى الشارع التالي. . وإذا كان فعلاً يفضي إليه فقد توفر على نفسها الوقت. . ناداها الصوت من خلفها ثانية. فعلمت أن الرجلين اقتربا منها. فأسرعت الى الزقاق حيث كان فيه حاجز تسده حواجز خشبية متشابكة تمنع المرور سيراً، لكنها تجاهلتها مذكرة نفسها أن هذا ليس الوقت الملائم للتقيد بالقوانين والتعليمات الرسمية، فقد دنا وقع الاقدام الراكضة خلفها حتى كادت تسمع تهدُّج أنفاسهما المتعبة. شاهدت في الامام «ڤاناً» كبيراً يسد الزقاق، ويحجب رؤية ما خلفه. . . فماذا سيحدث لو كانت مخطئة؟ ماذا لو لم يكن هناك منفذ الى الجهة الأخرى؟

واستدارت حول «الڤان». . أجل. . ها هو الممر. . فاستطاعت رؤية الطريق مفتوحة حتى مكاتب مجلتها. . لكن هناك أناس أمامها. . جمهرة صغيرة. . ارتجفت بسرور لأنها رأت أن معظمهم يرتدي بذات رسمية. . إنهم من رجال الشرطة. . .

ـ أيها الشرطي. . أيها الشرطي. .

تلاشى صراخها نداءً مقطوع الانفاس في غمرة حديث رجال الشرطة. . . فجأة التفت أقرب شرطي إليها ومسدسه في يده. . فصرخت:

ـ يا إلهي. . لا تطلق النار عليهما. . انتظر. .

ودوى طلق ناري، رمت أنيتا على أثره بنفسها أرضاً.. وقد اجتاح الرعب قلبها.. أين زجّت نفسها؟ إنه ليس شارعاً قيد التصليح دون شك.. أهذا سطو مسلح؟ جريمة؟ ألا يدرك أحد أنها ليست إلا أحد المارة؟ أهناك سبق صحفي في كل ما يجري؟

ـ توقف! اللعنة! لن ننهي تصوير هذه اللقطة أبداً.. ماذا يجري الآن؟

رفعت أنيتا رأسها ببطء... كان الصوت المتناهي إليها مباشرة فظاً مشبعاً بالتوتر والغضب، فرفعت بصرها الى عيني رجل قصير يمضغ سيكاراً بين أسنانه. وصاح:

ـ ما الذي جرى لك سيدتي؟ ألا تعلمين أن هذا الشارع مقفل؟ نحاول أن نصور مشهداً سينمائياً هنا.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهزت رأسها:

ـ أنا.. أنا.. فيلم سينمائي؟ أهذا كل ما يجري هنا؟

نظر الرجل إليها بازدراء، وبصق ما يمضغ من سيكار:

ـ لم يعد الامر هكذا... لقد اتلفت اخر لقطة نجريها هذا اليوم.

ـ اسمع.. أنا آسفة.. فأنا...

لكن اعتذارها تلاشى في الهواء وذلك عندما ارتدَّ الرجل على عقبيه مبتعداً عنها... فبدأت تلملم حقيبتها وتقف.

ـ هاك.. دعيني أساعدك.. أأنت بخير؟

تمسكت باليد الممدودة إليها حتى تقف، غير عابئة بالتطلع الى الرجل المرتدي زياً رسمياً وقالت:

ـ أنا بخير.. من أنت؟ أشرطي حقيقي أم ممثل؟ لأنك إذا كنت حقيقياً، أظن أن بامكانك القيام بعمل أفضل من هذا..

لكنها تعرفت الى ذلك الصوت، الذي سمعته من قبل، بل إن جميع الناس سمعوه من قبل..

أضافت بعد تردد:

ـ أنت لست شرطياً حقيقياً. أنت... مورتيمور لويد.

تفرست في الوجه الشهير ذي العينين الزرقاوين المثيرتين وهي لاتزال ممسكة يد صاحبه، فارتسمت بسمة حرج على فمها.. وكرر:

ـ أأنت بخير..؟ لم أقصد إخافتك بتلك الطلقة. إنها طلقة فارغة دون شك.

هزت رأسها مبتسمة:

ـ في الواقع أنت الطلقة في الوقت المناسب.. كنت هاربة.. حسناً.. لا تشغل بالك. لقد انتهى كل شيء الآن. لم أكن أعرف أنك تصور فيلماً في لندن.

ضاقت عيناه فضولاً:

ـ ولماذا يجب أن تعرفي؟ لقد أخبرنا عمدة المدينة ومكتب المحافظ، ودائرة الشرطة... ألم يُدوّن اسمك على اللائحة؟

ـ من عادتنا في مجلة «النخبة» أن نعرف هذه الأمور.

ترك يدها وارتدّ الى الوراء:

ـ صحافية؟

في عينيه وهو ينظر إليها الآن برودة لا ريب فيها.

ـ حسناً.. هذا يفسر كل شيء. (أردف).

قالت أنيتا بغضب واللون الاحمر يكتسح خديها:

ـ رويدك.. ماذا تعني بقولك هذا؟

ـ يعني أن لا عمل لك هنا... إنه موقع مقفل.

ـ لكنه مايزال شارعاً من شوارع المدينة...

نظرت إليه بسخط وهو يبتعد عنها.. ثم أسرعت خلفه ترفع صوتها، حائة خطاها:

ـ أنت مدين لي ببضع دقائق من وقتك.. ألا تظن هذا؟ كدت أكسر عنقي بسببك سيد لويد...

التفت نحوها عندما وصل الى القان الكبير المركون في نهاية الزقاق وقال بجفاء:

ـ لا أدين لك بشيء.. وإذا رغبت في مقابلة صحفية اتصلي بمديري.

أحنت كتفيها وهي تتمتم لنفسها غاضبة ثم تجاوزت الرجل القصير الذي هاجمها منذ لحظات. كان يتكيء على حافة القان، يحدق فيها وهي تمر به، فسألته بعد أن تجاوزته ببضع خطوات:

ـ ما اسم هذا الفيلم؟

رد بخشونة:

ـ فرسان الأمن.

فابتسمت بابتهاج:

ـ فرسان الأمن.. هه؟ سأتذكره دائماً...

ودون أن تنتظر الرد، عادت تحث الخطى في الشارع قاصدة مبنى مرتفعاً كله واجهات زجاجية يحتوي مكاتب مجلة «النخبة».. بعد لحظات خرجت من المصعد في الطابق الخامس عشر من المبنى ولوحت بيدها لموظفة الاستقبال في المكتب الخارجي.

ـ هل الآنسة هاردستي مشغولة يا أليانور؟

ابتسمت الفتاة وهزت رأسها:

ـ لا.. لكنها على عجلة من أمرها تريد أن تبكر في الخروج قبل بدء العاصفة. سأخبرها بقدومك.

اتجهت أنيتا الى المكاتب الواقعة في مؤخرة الردهة. كان باب

رئيسة تحرير قسمها مفتوحاً، فدفعته وولجته، حين شاهدت مارغو هاردستي تدس أوراقها في حقيبة مليئة بالأوراق. قالت المرأة العجوز:

ـ أني.. عزيزتي، تسرني رؤيتك، طبعاً.. لكنني دهشة قليلاً. ظننت اجتماع «منظمة النجاح الروحي» سيستغرق طوال بعد الظهر.. هل انتهى الاجتماع باكراً بسبب الطقس الرديء؟

تنهدت أنيتا ورمت نفسها على مقعد جلدي مريح:

ـ أحمد الله لأنني أقعد الآن على شيء طري. لقد آلمتني مؤخرتي من جراء قعودي ساعات على تلك المقاعد المعدنية اللعينة التي لها نتوءات حادة أكثر من صخر غرانيت. لا يا مارغو، الاجتماع لم ينته.. فكل ما أعرفه أن هؤلاء البسطاء مازالوا عالقين في تلك الغرفة المحبوس عنها الهواء، يحاولون الحصول على تدريبات ذلك المشعوذ الدجّال التي دفعوا ثلاثمئة جنيه ثمناً لها.

ضحكت مارغو وأقفلت الحقيبة.

ـ حسناً.. أظن هذا يجيب عن السؤال الذي كنت سأسأله.. أظن أن الدكتور دراسكول ليس الملام وحده على ما يدعي.

ـ إنه دجال متطرف.. فهو يمزج الكثير من علم النفس المزيف وادعاء الشفاء من المخدرات.. لكنه لا يقدّم لمن يحضر برنامجه إلا سلبهم المال. كما أن له شخصيات ذوي أذرع قوية تجبر من يرتاب من الناس على الإيمان بهم قصراً. صدقيني.. لدي أكثر مما يكفي لمقال واحد. سيكون مقالي عندك صبيحة الاثنين.

أسندت رئيستها ظهرها الى الكرسي ونظرت إليها بريبة:

ـ ألم يعقد الاجتماع على مسافة من هنا أنيتا؟ ألا يتساقط الثلج هناك أيضاً؟

ـ طبعاً يتساقط الثلج. إنه مكان بارد مخيف ومظلم.

ارتفع جفنا مارغو عجباً فشرعت أنيتا بالضحك.

ـ أتقصدين النظارة الشمسية؟.. كان حظي طيباً لأنها كانت معي في ذلك الفخ الذي لا مقر له. فقد اضطررت الى الهرب بسرعة، ووجدت أن خير ما أقوم به هو تغيير مظهري قليلاً..

ثم أسرعت تخبر رئيستها بما حدث معها دون أن تترك شاردة أو واردة..

ـ... ولم يلبث أن جاء ذلك الشرطي.. أو الذي ظننته شرطياً.

ضحكت مارغو وهي تهز رأسها:

ـ لا أصدقك... أهربت حقاً الى موقع تصوير فيلم سينمائي؟ ألم تشاهدي آلات التصوير أو تسمعي أصوات المعدات؟

ـ كنت أريد النجاة بحياتي مارغو... حسناً.. ليس بالضبط.. بل لم أكن أهتم إلا بهذين الجلفين اللذين كانا يلاحقانني... ليتك تعلمين من هبَّ الى مساعدتي! إنه موري لويد.. مورتيمور لويد نفسه الذي كان لطيفاً حقاً..

قاطعتها مارغو بحدة:

ـ لا تقولي إنك قدمت له نفسك أنيتا.

ـ لا.. لم يكن هناك وقت.. فما إن قلت له إنني صحافية حتى تحوَّل الى قطعة جليدية.

ـ وكنت مرتدية هذا كله.. القبعة والنظارة..؟

حركت أنيتا أنفها وتنهدت بقلق:

ـ أجل.. وهذا ما يؤسفني.. فلو علمت أن هذا الرجل العظيم سينقذني لارتديت ما يلائم المناسبة.. ثوباً أبيض واسعاً، أهدابا اصطناعية، وتاجاً ألماسياً على شعري..

وضحكت:

ـ ومع ذلك كان سيظهر لي البرود حين أقول له إنني صحافية.. ما بال ذلك الرجل على أي حال؟

هزت مارغو كتفيها:

ـ من يعلم؟ في بداية شهرته قام بما يقوم به الممثلون الشبان.

صبت كوبين من القهوة الساخنة وقدمت أحدهما لأنيتا:

ـ تعرفين ما أقصد... ظهر في الاعلانات، في المقابلات، حين بلغ القمة منذ عشر سنوات، راح يتقهقر... إلا أنه بقي متعاوناً.. وكان يومذاك، موضوعاً ساخناً... فهو جميل المظهر، ذو مواهب تمثيلية عظيمة.. لذلك بقيت الصحافة تلاحقه، أشاء ذلك أم أبى.

هزت أنيتا رأسها:

ـ أجل.. أعرف ما تعنين.. قرأت مقالات عنه، إلا أن معظمها شائعات.. إذا راجعت ذاكرتي قليلاً أجد أنني لم أقرأ عنه إلا أربع أو خمس مقالات في السنوات الأخيرة. لقد كان في بعض المقابلات الاعلامية لا يتحدث إلا عن الافلام التي ينجزها.

ـ بالضبط. فللرجل قانونه... يرفض أن يُسأل عن حياته الخاصة. وإذا حدث أن أصرَّ أحد الصحافيين، وقف بكل بساطة وتركه.. لقد تحول الى رجل الغموض.

ارتشفت أنيتا قهوتها ثم وضعت الكوب على الطاولة:

ـ حسناً.. ليس هذا بالامر الغريب.. ليس موري لويد النجم السينمائي الوحيد الذي يرفض الاضواء ويتهرّب منها. أعني انظري الى ما سواه من النجوم.

ـ لو قارنا حياة معظمهم مع حياته لوجدناها كتاباً مفتوحاً. أتعرفين أن أحداً لم يعرف بعد مكان سكنه؟ أوه صحيح أن الجميع يعرف أن له منزلاً خاصاً على شاطىء «هيستنغز» على القنال وآخر

في لندن أو ضواحيها، لكنه لا يتواجد فيهما.. فالرجل يقضي معظم وقته على الشاطىء الفرنسي. لكن السؤال الكبير أين؟

ـ أوه مارغو.. أين؟ وأين يمكن أن يكون؟ في «كان»، في نيس، مونت كارلو؟ ليس في أي منها؟.. حسناً.. موناكو أو الريفييرا.. أنت تمزحين؟

بدأت المرأة تضحك:

ـ لا يعرف الناس إلا أنه يطير بطائرته الخاصة الى فرنسا حيث يقصد مكاناً يجهله الجميع، لأن بطلنا يختفي حالما تحط طائرته أدراجها. لقد حاول بعض الصحافيين اقتفاء أثره وفشلوا.

ـ كان الاجدى بهم بذل المزيد من الجهد. يجب أن تستخدمي الخيال الخلاق في ملاحقة شخص مصمم على الاختفاء في المجهول. قصته تذكرني بزعيم النقابات ذاك.. أتذكرين؟ لقد حصلت على المعلومات التي أريد ولم أحتج يومذاك إلا الى ملاحقة سكرتيرته بأدب..

حدث تغيير مفاجىء في أسارير مارغو.. فأمعنت النظر في أنيتا، ثم ارتدّت في كرسيها الدوار نحو النافذة التي تمتد من الأرض حتى السقف:

ـ انظري الى هذا الثلج كله. أراهن أن سماكته ستبلغ الستة انشات قبل انتهاء العاصفة، وما لن أتخلى عنه هو الذهاب الى مكان دافىء مريح.. كما ستفعلين أنت آني.

ضحكت أنيتا:

ـ هل فاتني ما لم أفهمه؟ ظننت أننا كنا نتحدث عن موري لويد ومخبأه في فرنسا... رويدك لحظة مارغو.. توقفي حيث أنت.. إذا كنت تظنين أنني سأذهب.. الى بلدة ساحلية على المتوسط في فرنسا.

ـ لكن نيس مدينة كبيرة على الريفييرا الفرنسية يا عزيزتي.. هذا ما يقوله الجميع.

ـ منذ لحظات قلت إنها مكان مجهول. ولن أذهب أبداً الى مكان لا أعرفه لألقي نظرة على منزل موري لويد.. وثمة أمر آخر، أنسيت أن المجلة لا تقوم بمثل هذه المضايقات ضد أي شخص كان.. كلتانا تعرف هذا.

هزت رئيسة التحرير رأسها وابتسمت.

ـ بالضبط.. لكننا سنعمد الى كتابة مقالة عن موري لويد في عددنا القادم، والمقالة تتعلق بمقابلة سمح لنا باجرائها معه أثناء انشغالك في اجتماع منظمة النجاح الروحي.

تنهدت أنيتا وغرقت في مقعدها:

ـ لا تذكريني.. أرجوك! لكني لا أفهم.. إذا كنت ستقابلين الرجل، فلماذا ترسلينني الى آخر الدنيا حتى أكون عيناً على منزله؟

ـ اني.. عزيزتي.. رويدك.. صاحبنا الغامض سمح لنا بهذه المقابلة لأنه يريد دعاية لفيلمه الجديد إلا أنه كالعادة لم يوافق على إجرائها إلا بعد أن أملى علينا شروطه مقدماً. أتصدقين أنه لن يجيب عن سؤال يتعلق مثلاً بما إذا كان يتعلم التزلج؟ المسألة أنه سيكون لجميع الصحف الأجوبة نفسها عن أسئلة مملة رتيبة ولن يكون لنا بذلك سبق صحفي. فالسؤال الحقيقي الذي يجب أن يُسأل يبقى دائماً دون جواب.

قالت أنيتا ساخرة:

ـ أين يقيم في فرنسا؟.. هيا الآن.. أنت تمزحين؟ ليس منزله بالسر العميق.

ـ لكنك لم تتركي لي فرصة اتمام حديثي عزيزتي. أترين... منذ سبع سنوات، تزوج موري لويد من فتاة صغيرة جميلة يقال إنها

فرنسية، لكن كان الزواج منذ البداية في اضطراب. ويقال إنه مذ ذاك الحين راح يبتعد أكثر فأكثر عن الصحافة... لكن ذلك لم يردع الألسنة عن تناوله.. وكان كلما مرَّ الوقت يصبح أكثر غموضاً، ومراوغة، ثم فجأة ماتت زوجته في حادثة سيارة على طريق عام على شاطىء الريفييرا، وكانت هذه المرة الأولى التي عرفنا فيها أنه يعيش هناك.. ثم اختفى عن الانظار مدة سنة. وهو وقت طويل لمن هم في مركزه.

هزت أنيتا رأسها:

ـ أجل، أذكر هذا.. ربما كان حزيناً.

ـ هذا ما قيل.. لكن زواجه كان فاشلاً. وإذا كان هذا صحيحاً، فإن حزنه على زوجته مدة سنة كاملة لمبالغة. ألا ترين آني؟ لا أصدق أنك لم تسمعي هذه الشائعات من قبل... أين كنت يومذاك يا عزيزتي؟

ضحكت أنيتا:

ـ في غابات أفريقيا عدة سنوات.. أتذكرين؟ التخصص في علم الاحياء لا يتجانس وهذه الشائعات مارغو.. وحين تحوّلت الى الصحافة انكببت للحصول على الكفاءة حتى أتخرج بدرجة جيدة، فكان أني حينها لم أقرأ مجلات الفن والشائعات.

ـ مازلت أجد اهتمامك ذاك مسلياً عزيزتي... لا أتصورك تخصصين حياتك لأنابيب الاختبار بدلاً من الكتابة، لابد أن زوجك كان سعيداً حين اكتشفت موهبتك في الكتابة.

ـ إنه زوجي السابق. أرجوك لا تنسي هذه الكلمة.. أجل كان جيري سعيداً يومذاك... كان يقول إنه الاستاذ الجامعي الوحيد الذي سرق تلميذة من كلية علم الاحياء الى كلية الإعلام.

ـ إني لم أفهم بعد ما جرى بينكما.. تلميذة تتزوج من

استاذها، هذا أمر خيالي فكيف ينتهي هذه النهاية... هل بدأت موهبتك تخيفه؟ هل أحس بالتهديد منها؟

ـ لا.. لم يكن الأمر هكذا. لقد كان...

قطعت كلامها في منتصف الجملة وابتسمت:

ـ لم تنسي بعد كيف تنتزعين قصة من فم شخص. هيا الآن مارغو.. نحن لا نتكلم عن حياتي.. أنت تتكلمين عن موري لويد...

ـ أجل.. وأنت مثله تقريباً في الاقفال على حياتك، حسناً.. سنعود الى موري لويد.. سأقص عليك سريعاً توقعاتي بشأنه.. أين كنا.. أجل.. موت زوجته.. أترين اني.. ثمة قصتان.. الأولى تقول إنه كان معها حين تحطمت السيارة، وان الحادثة كانت غلطة ارتكبها هو، وإنها لم تمت بل تشوهت وأصبحت مقعدة، فأخفاها في مصحة خاصة في فرنسا.

ـ هيا الآن مارغو...

ـ القصة الثانية تقول إنها ماتت فعلاً، إنما انتحاراً لأن زواجها كان فاشلاً. وإنها رمت عامدة بالسيارة من فوق الصخور أو صدمت شجرة.. أو مهما كان الأمر.

نظرت أنيتا الى المرأة بثبات.. ثم هزت رأسها:

ـ فهمت.. فإما أن مورتيمور لويد يقوم بتمثيلية مع زوجة مجنونة حبسها في عليّة...

ـ لم أقل مجنونة عزيزتي... قلت مشوهة مقعدة.

ـ حسناً مشوهة... وإما أنه يسجنها أو أنه يخفي سراً هناك دفع المرأة الى الانتحار.

ـ أعتقد أن لدى الرجل سراً رهيباً يخبئه. إنه أحد أشهر الممثلين في العالم... تزوج ثم ماتت زوجته التي لم يكن سعيداً

معها.. فجأة يصبح رجل ثلج. ما من مقابلات شخصية، وما من مشاركة في نادٍ أو في فضائح مع المعجبات، أو أي شيء اخر.. وفوق ذلك أنه يوليّ هارباً الى فرنسا حالما ينتهي من تمثيل أي فيلم، كحيوان يختفي ليلعق جرحه. فما الذي يبقيه هناك طوال الوقت؟ أزوجة مريضة مشوهة يجب ألا يراها العالم؟ أم ضمير معذّب؟ أنت مراسلة إحدى أشهر المجلات في العالم يا عزيزتي.. ألا يثير هذا استهجانك واهتمامك؟ ألا ترين أي مقال عظيم قد تكتبينه لو استطعت الاجابة عن هذه الاسئلة؟

ران صمت رهيب في الغرفة خاصة وأن الثلوج المتساقطة خنقت وقع خطى المارّة على الشارع.. نظرت أنيتا خارج النافذة نحو وقع الثلوج المتساقطة.. وطفقت تفكر.. ضمير مذنب معذّب.. لن تعرف مارغو أبداً كيف يدمرّ مثل هذا الشعور حياة انسان ما.

ردّتها هذه الفكرة الى ذكرى زواجها السابق الذي دام سنتين... أدركت منذ البداية أن الرجل القوي الحازم في غرفة التدريس، كان يتبخر حالما ينهي يومه التدريسي. كانت حياتهما، تديرها وتتلاعب بها أمه الفضولية. وحين بدأ زواجهما بالتقهقر والتمزق توسلته حتى يتغير، لكنه كان معمي البصر والبصيرة في آن.. وتذكر أن الجهد الأخير الذي بذلته حتى تبعد عنه سيطرة أمه باء بالفشل. ما أشد ما كان غباءها! هذا ما تعرفه الآن... لو كان لهما ولد كما فكرت، لو كانا عائلة بالفعل... لكن منذ تلك اللحظة منذ أن عرفت أنها لن تقدر على الانجاب علمت أن زواجهما انتهى خاصة وأن رأيه ورأي أمه واحد.. لقد قال لها إن المرأة التي تفشل في وهب زوجها طفلاً ليست بامرأة... وأصرّ على أن زواجهما فاشل بسببها هي.. لكن بعد ثلاث سنوات من

هذا الاكتشاف وجدت أن ذاك الاحساس الذي شعرت به من جرّاء اتهاماته يخبو مع الايام... صحيح أن ضميرها هانيء إلا أنها مازالت تتساءل عما إذا كان ما حدث بسببها. وماذا لو كان لدى موري لويد ما يعذب ضميره؟ ماذا لو كان لديه سرّ رهيب دفين في مكان ما، في قصر أو ڤيلا أو منزل على شاطيء المتوسط؟

ـ آني.. هل تصغين إليّ؟

ـ آسفة مارغو. ماذا قلت؟

ـ قلت إنه وإن فشل الآخرون فأنت قادرة على تحري معلومات بشأن قصته.. لقد توصلت الى معلومات عن زعيم العمال ذاك لم يكن أحد قد سبقك إليها. كما توصلت الى وقائع مذهلة عن الدكتور دراسكول. إن تحقيقاتك جميعها ناجحة، فإذا ما قارناها مع هذه المهمات... أرى أن قصة لويد ستكون كقطعة بسكويت.

ـ حتى ولو رغبت في هذا... فسيعرفني مارغو.. تحدثت إليه منذ أقل من ساعتين. إنه ليس بالغبي.

ـ التقى موري لويد مدة ستين ثانية بامرأة تضع نظارة سوداء يا عزيزتي وترتدي قبعة منخفضة الاطراف حتى تخفي معالم وجهها... أما صوتك فلن يتعرف إليه... ما حدث لصوتك؟

ضحكت أنيتا:

ـ ألا يبدو رهيباً؟ لا تقلقي، الامر مؤقت، مع تحيات الدكتور دراسكول وجلسات مجموعته...

وتلاشت ضحكتها وهي تضيف مفكرة:

ـ مثل هذه التحقيقات ليست من اختصاصي. فأنا لا أعرف الكثير عن السينما والممثلين.

لوحت مارغو بيدها وكأنما تزيح احتجاج أنيتا جانباً:

ـ وهذا أفضل يا عزيزتي. ستتصرفين بسذاجة كاملة، فلن يشك فيك أحد...

ضاقت عيناها وابتسمت تضيف بصوت خفيض:

ـ بالمناسبة.. لقد تناولت الغداء مع ونستون دونوڤان منذ أيام.

ـ ناشر المجلة؟

ـ هو نفسه.. وقد تحدث عن امكانية البدء بكتابة مقال ثابت جديد في الربيع سنطلق عليه اسم «لندن النخبة»، وقد ذكر أنه مقال يناسبك تماماً.

ـ مارغو.. هذا ليس عدلاً. أنت تعلمين أنني انسانة أريد بشدة أن يكون لي باب خاص بي... أتحاولين رشوتي؟

بدأت مارغو تضحك:

ـ الكلمة الأصوب «حافز» لا رشوة. ألا توافقينني الرأي؟

بقيت لحظات نظرة توتر على وجه أنيتا، ثم راحت تبتسم:

ـ حسناً.. كسبت الجولة.. وعليّ أن أعترف، لقد أثرت فضولي. أشعر وكأن ما ينتظرني قصة رائعة. وهو أفضل مما كنت سأقترحه للشهر القادم.

ووقفت متجهة الى الباب، فنادتها مارغو وهي تفتحه:

ـ وما هو؟

ـ كيفية عبور المدينة المكتظة في عاصفة ثلجية... يبدو أنني سأكتب من وحي تجربتي الخاصة بدءاً من الليلة.

● ● ●

٢ ـ إنها البداية

رفعت أنيتا يدها متعبة عن مقود «الرينو» السيارة الفرنسية الصنع التي استأجرتها لتنقلاتها.. أمامها الآن طريق كأن لا نهاية لها.. خط رمادي ممل في مرتفعات الألب التي لا حياة فيها في مثل هذا الوقت من السنة. كانت هذه المرتفعات الى يسارها خضراء وبنية مكللة بالثلج الابيض.

عندما نظرت الى ساعتها علمت أنها سارت ما يقارب الثلاث ساعات منذ أن غادرت مدينة نيس باتجاه سان رافاييل، وها الارهاق يتسلل الى أطرافها.

كانت الرحلة من مطار لندن الى مطار باريس، ثم متابعة الطيران في رحلة داخلية من باريس الى مطار نيس، طويلة مرهقة.. كما أن الطريق الذي تقوده حالياً مرهق لها لأنها لا تعرفه ولأن فرنسيتها التي تلقتها في الصف الجامعي التحضيري لم تعنها على الاتجاهات المتشابكة على لوحات الطريق... وكأن كل هذا لا يكفيها، إذ كان عليها ألا تزيح بصرها عن سيارة مورتيمور لويد الشيروكي التي تسير أمامها، وقد بدأت كتفاها وعنقها تؤلمها من التوتر.

البارحة ليلاً اتصلت بها مارغو لتعلمها بأن موري لويد سيغادر لندن في اليوم التالي وبأن عليها أن تسبقه الى نيس على أن تقابل

في المطار رسولاً خاصاً سيحمل إليها ملفاً عن حياة لويد، ملفاً ليس غنياً بالمعلومات لكن ما فيه كاف حتى تقرأه في الطائرة وترميه حالما تعرف ما يحوي كما أخبرتها أنّ كل ما استطاعت معرفته، أنه سيصل نيس بعد ظهر الغد في طائرته الخاصة، وأن هناك من يوصل إليه سيارته الجيب الشيروكي الى المطار، وأن عليها أن تكون هناك قبل وصوله... ووعدتها أنيتا بأن تكون حذرة لئلا يلاحظ لويد وجودها.

وهذا ما حصل تماماً.. ابتسمت أنيتا لنفسها راضية... فقد راقبته وهو ينزل من نفاثته الفضية عبر عدسة آلة تصويرها المكبرة، ثم تريثت حذرة حتى دخل السيارة قبل أن تعود الى السيارة المستأجرة المركونة في باحة المطار الخارجية.

خشيت في البداية أن تكون الطرقات مختلفة عن طرقات بلادها، لكنها بعدان قرأت بعض التعليمات اقتبستها من كتيّب المطار السياحي، وجدت أن للطريق الرئيسية التي تحاذي الساحل سعة وسهولة أي طريق أخرى في بلادها.. كما أن موري لم ينتبه الى أنها تلاحقه. تركت بحذر مسافة خفية بينهما، مفسحة المجال لسيارة أو سيارتين بالدخول بينهما أحياناً. وكانت واثقة أنه لن ينتبه لوجودها. إلا أنها عندما تصل الى حيث يتجه، ستحس بالأمان.. إن قصتها التي ستحتل الغلاف لا ريب ناجحة.. فأهم وأخطر جزء فيها هو ملاحقته من المطار دون أن يراها.

بعد أن مضى الوقت وانطوت الأميال تحت عجلات السيارة راحت تحس بالامان ينمو. فعدوها الأكبر لا ريب تعب الآن، وهذا يعني أنه سيتوقف، ولو لاحتساء فنجان قهوة في إحدى المقاهي القابعة على الطريق، وربما حين يتوقف.. إذا توقف.. قد تخاطر وتدخل المقهى هي كذلك.. فهو يجهل أنها تتبعه وليس فيها ما

يبدو مألوفاً أو مثيراً للشك. خاصة وأنها لم تزين وجهها بالمساحيق وأن شعرها الطويل الكستنائي مرفوع عن وجهها الى ما وراء أذنيها، متدل على ظهرها شلالاً كثيفاً. أما ملابسها فبسيطة لأنها ترتدي سروالاً قديماً أجرد اللون من الجينز وقميصاً أزرق شاحب، وهي بمظهرها هذا لا تشبه أبداً تلك المرأة ذات النظارة السوداء والقبعة الواسعة والمعطف السميك التي شاهدها موري في أحد أزقة لندن.

مدت يدها لتشغّل الراديو في السيارة، ثم طفقت تنقله من محطة الى أخرى حتى وجدت موسيقى كلاسيكية ناعمة.. كل شيء يسير على ما يرام.. وهذه المهمة قد تصبح أسهل مهمة قامت بها حتى الآن. قالت لنفسها وهي تدندن مع النغم، إن مارغو على حق.. ستكون حقاً كقطعة بسكويت... ودندنت مرة أخرى بالكلمات لتتوافق مع النغم...: قطعة.. من.. البسكويت.. تباً!

تعالى صرير العجلات فوق الاسفلت حين ضغطت على المكابح بكل قوتها، موجهة المقود نحو اليمين. ففي غمرة تمتعها بالرضى عن نفسها، كادت تفقد أثر الشيروكي وهي تستدير مبتعدة عن الطريق. عضت على شفتها، وضغطت على دواسة الوقود فسعل المحرك ثم انطلقت الرينو الى الامام. لم تكن لتلاحظ المنعطف، أو الطريق، لولا انعطاف لويدبسيارته... ليس أمامها الآن إلا خط سير واحد متجه نحو الجبل، لكن كلمة «خط واحد» ليس بالكلمة المناسبة، فالطريق الضيق يلتوي بين الجبال الصخرية والصنوبرات الطويلة. اختفت الشيروكي عن الانظار لكن الغبار المتصاعد منها فوق الطريق كان دليلاً واضحاً على أنها مازالت أمام أنيتا، وعلى أمل أن تكون هذه مجرد طريق مختصرة، بقيت تنتظر أن تتصل هذه الطريق الضيقة بطريق عام آخر. لكن بعد مرور الدقائق، بدا أن ما توقعته غير صائب.

أشاحت بصرها عن الطريق لتتأكد من علامة الوقود.. إنها تشير الى النصف.. تنهدت شاكرة الله على هذا لأن مثل هذه السيارة الصغيرة لا تصرف كثيراً من الوقود، لكنها تمنت في الوقت نفسه لو كانت بعيدة النظر لتستأجر سيارة أقوى تناسب هذه الجبال، كان يجب أن تفهم حين رأت موري لويد يقود هذه السيارة.. لقد ظنت أنه ما يقود مثل هذه السيارة إلا لإرضاء غروره. بدت الرينو وكأنها تجاهد لتسلق المرتفع، أما ذراعاها فتألمتا من لفّ المقود عند كل انعطاف، ما أكثر الانعطافات!

شهقت أنيتا حين انعطفت بالسيارة عند منحنى حاد، على يمينه حافة طريق منحدرة يؤدي الى الاسفل، حيث يقبع نهر ضيق يبعد عنها ما يقارب المئة قدم. أجبرت نفسها على النظر الى الامام في حين أن يديها طفقتا تنضحان عرقاً.

تذكرت وعورة الطريق الجبلية المؤدية الى موطنها الريفي في الشمال الانكليزي. حيث كانت تتجه إليه اسبوعياً في سيارتها لزيارة أهلها قبل العودة الى المدينة... أو حين كانت تتجه الى اسكتلندا في رحلة تخييم صيفية... وهذا المكان ليس أكثر وعورة من تلك التي تعرفها...

لكن هذه أوعر بالطبع فتلك الطرقات تعرفها منذ الطفولة، والسيارة التي تستخدمها حتى تجتازها كانت جيباً صغيرة، قديمة نعم لكنها قوية بحيث، تتشبث وحدها بالطريق.. نظرت الى المرآة الجانبية فارتجفت لأن الوادي كان ما وقع عليه بصرها... ليس هنا من سياج واقٍ.. ومتسع ترابي.. لا شيء بينها وبين الوادي سوى حافة الطريق... أما خلفه فكانت الشمس تنخفض مختفية وراء الافق، الذي ينحسر عنه الضوء.

أخيراً اتسعت الارض على الجانبين فتنهدت أنيتا بارتياح

لاختفاء الوادي عن الانظار، تخبئه أشجار الصنوبر المرتفعة. نعم هذا يشكل تحسناً مهماً.. إلا أن الاشجار الآن تبدو أخطر في تدلّيها على الجانبين بحيث زادت الى عتمة الطريق عتمة أخرى. رفعت أنيتا يداً مرتجفة لتمسح جبينها، ثم نظرت الى ساعتها.. يا إلهي! إنهم يتسلقون هذا الجبل منذ ساعة.. الى أين يذهب هذا الغبي اللعين؟ أمازال موجوداً أمامها؟ أجل.. مازالت ترى أثر الغبار يتصاعد من اطاراته فوق الطريق... كما أن لا طريق اخر قد يجتازه غير هذا. القت نظرة قلقة على عدادها لأنها تعلم الآن أن لا مكان هنا قد تستطيع فيه التزود بالوقود، أو تفحص هذا الصوت الغريب المتصاعد عن المحرك المتعب.. حسناً.. سيارة لويد لا تسير على الهواء أيضاً، وعليه التوقف قريباً، وهذا يعني أن ثمة طريق أخرى أفضل من هذه أو بلدة ما.

فجأة تصاعد صرير إطارات الرنيو حتى كاد يصمّ أذنيها وذلك لأنها ضغطت بقوة على مكابحها بغتة. فقد كانت الشيروكي متوقفة في عرض الشارع الضيق أمامها ولم تكن قد شاهدتها إلا حين انعطفت في منعطف ضيّق..

قاومت انسلال المقود من بين يديها وسيطرتها. فلم يلبث أن انزلقت السيارة حتى توقفت وقفة تبعث الرعب، إذ دُفنت مقدمتها في حافة ترابية ناعمة تعلوها الاعشاب... وشهق المحرك وانطفأ.

جلست أنيتا جامدة تماماً لحظات بدت لها أطول لحظات عمرها. ثم مدت يدها لتطفىء الكهرباء عن المحرك، خافقة القلب. وعندما رفعت بصرها عن العدّادات أمامها ونظرت الى الخارج رأت مورتيمور لويد يدنو منها، فتنفست الصعداء وفتحت الباب صائحة بصوت بدا مذعوراً أكثر منه غاضباً:

ـ هل أنت مجنون؟ أتحاول قتلي؟ كدت أنتهي في أسفل

الوادي، أو فوق شجرة.. لماذا سددت عليّ الطريق هكذا؟

رد بهدوء:

ـ كي أمنعك من ملاحقتي التي لم تقومي بشيء سواها. هل أنت بخير؟

ـ هل أنا بخير؟ وهل تهتم؟ بالله عليك لقد كدت تقتلني.

ابتسم قليلاً وهو يهز رأسه:

ـ أظن هذا تصريحاً فيه مبالغة. لم تكوني مسرعة، ثم أنني أعرف كل شبر في الطريق وقد اخترت منه بقعة مناسبة بكل دقة. فليس هنا سوى التراب والعشب على كلا الجانبين كما أنني كنت أراقبك من مراتي بضع ساعات.. فلاحظت أن قيادتك متقنة، لذا لم أقلق عليك.

مسحت أنيتا يديها على مؤخرة الجينز وهزت رأسها:

ـ إنه للطف منك أن أعرف أنك اخترت المكان المناسب لتهتم بأمري. يا لتأثري بهذا! وماذا تعني بأنك كنت تراقبني؟ لم أكن أعرف أن هناك سيارة أخرى على هذه الطريق.

هز موري رأسه متوتراً:

ـ هيا.. ادّعي شيئاً آخر... كنت تقتفين أثري منذ وقت. وظننت أنه حان أن أعرف من أنت.

تنفست بعمق وأجبرت عينيها على التقاء عينيه:

ـ ألهذا كدت ترمي بي عن الطريق؟ أتعني أنك لست مهووساً يستلذ بمشاهدة وقوع الحوادث، أو مريضاً مجنوناً يظن أن جميع من على الطريق يلاحقه؟

هزت رأسها واستدارت نحو سيارتها تكمل كلامها:

ـ وداعاً.. سيد.. كائناً ما يكون اسمك... لا أخالني أود الوقوف لأتحدّث إليك هنيهة أخرى...

مد يده ليمسك بيدها بقوة:

ـ سألتك سؤالاً... من أنت؟ وماذا تريدين مني؟

ـ اسمع يا هذا...

ـ بل اسمعي أنت. لن تذهبي الى أي مكان قبل أن احصل على الرد. أريد معرفة ما تريدين. لا تبحثي عن المساعدة فلن تمر سيارة أخرى على هذه الطريق قبل الغد، لأنه ليس هناك من يستعمل هذه الطريق في أفضل الاحوال... فكيف والشمس توشك على الغروب...

ابتلعت أنيتا طعم الخوف المعدني في فمها، وانتزعت يدها من قبضته. وقالت:

ـ هذا طريق عام ولي كل الحق بأن أسير عليه. مع أن الامر ليس من شأنك إلا أنني سأطلعك على سبب وجودي هنا.. أنا تلميذة قسم علم الاحياء أقوم بأبحاث للتخرج. وأنا متجهة الى أعالي جبال الألب لإجراء هذه الدراسات. فإذا لم تكن من المهتمين بالقطط البرية، وأسد الجبل، أو بالذئاب، فلا تخشاني.

ابتسم ببرود:

ـ هذا اختيار موفق للكلمات... لماذا تقولين هذا؟ فلماذا أخشاك؟

تأوهت في داخلها بسبب زلة لسانها هذه.

ـ شعرت بك خائفاً من ملاحقتي لك... حسناً.. أنا لا ألاحقك، بكل بساطة، أخذت أول منعطف يتجه الى الجبال نحو المنطقة التي اقترحها عليّ أستاذي... ولم أكن أعلم أنها مهجورة هكذا... أتعيش في الجوار؟

تجاوزتها عيناه الى سيارتها، ثم قال ببرود:

ـ من الأجدى لك أن تعودي أدراجك هابطة الجبل. ليس

أمامك سوى نصف ساعة من ضوء النهار لأنك بعدها ستجدين صعوبة في السير في الظلام.

ارتدّ على عقبيه بسرعة راكباً سيارته مردفاً:

ـ كان على أستاذك توجيهك الى منطقة آمن من هذه... فبامكانك زيادة اسم الضباع على لائحة الحيوانات التي تخططين لمراقبتها. فثمة الكثير منها هنا.

حدقت فيه دهشة.. لا يمكنه تركها هنا هكذا... لا يمكن.. وصاحت به:

ـ انتظر لحظة. ألن تساعدني في تشغيل محرك سيارتي؟ لن تذهب هكذا... رويدك لحظة.. أقلت أن في هذه المنطقة ضباعاً؟

صفق باب سيارته وشغّل محرّكه.

ـ أجل.. لكن لا تخشي الدببة. فبعد الظلام لا يخرج الى هذه التلال إلا القطط البرية.. فما عليك إلا البقاء في السيارة حتى تصلي الى الطريق الرئيسية وعندها ستكونين على سا يرام.

أرجع سيارته الى الخلف ليستقيم على الطريق... ذهبت صيحة أنيثا المستغيثة هباء لأن الشيروكي ابتعدت حتى اختفت عن الانظار. فاستدارت بسرعة نحو سيارتها، متمتمة بسخط وهي تفتح الباب: «أنت رجل شهم حقيقي موري لويد.. لكنك لن تتخلص مني بسهولة» وإذا أسرعت ستقتفي أثره في لحظات، لأنه سيتوقف دون ريب في مكان ما، وحين يفعل ستكون خلفه تماماً.

شغّلت بسرعة محركها لكنه أصدر أنيناً محزناً، ثم توقف خافقاً. «اللعنة!» كتمت أنفاسها وأعادت تشغيله ثانية. لكن هذه المرة لم يحدث أن استجاب المحرك أبداً.

فتحت الباب غاضبة، وخرجت الى الطريق المهجورة

الصامتة... انخفضت الشمس كثيراً في الأفق حتى أصبح في الهواء لذعة برد... فتحت غطاء المحرك فرأت أن هناك أسلاكاً في كل مكان، أبلغتها نظرة واحدة إليها أن كل شيء في مكانه، فأعادت الغطاء الى مكانه بحدة.. وانحنت تنظر تحت السيارة. مدت يدها متأوهة بفزع وهي تلمس البقعة السوداء اللزجة المنتشرة تحت المحرك. فصاحت: لعنة مزدوجة! وبدأت تركل السيارة بسخط: أكرهك موري لويد!... لكن سرعان ما أدركت أن المكان لم يعد صامتاً كما كان... فقد سمعت صوت قرقعة وحفيفاً بين العشب أمامها، وصيحة حيوان مرعبة من مكان قريب أمامها.

كبحت رعبها وحاولت ألا تفكر في غروب الشمس، وأسرعت نحو السيارة حتى توصد الباب وراءها. لا شيء تخشاه حتى الآن... بهذا هدّأت نفسها... لقد ترعرعت في ريف أشد قسوة من هذا.. وهي تعرف الكثير عن الحيوانات المفترسة.. فلا يمكن أن يترعرع المرء ويكبر وسط الماشية والجياد دون أن يعرف شيئاً عن الوحوش التي تسعى لاصطيادها. لكن، لا دببة، في الشمال الانكليزي ولا أسود ولا غابات، ولا ضباع. فهي لا تعرف عن هذه الحيوانات إلا أنها ضخمة شريرة.. لا يمكن التنبؤ بما قد تفعل.. و..

همست لنفسها بصوت مرتفع.. توقفي عن هذا.. أنت تتصرفين كالاطفال.. وتنفست بعمق، وأخذت تفكر بموقفها، لديها كيس نوم، سيدفئها في الليل إذا اشتد البرد ولديها بضع ألواح من الشوكولا والبسكويت في الحقيبة. إذن ستكون مشكلتها الكبرى أنها فقدت أثر لويد... لكن حتى هذه المشكلة ليست شيئاً يمكن تخطيه.. فمهما تكن قدرته على التحمل فسيتوقف على مسافة

بعيدة.. ويجب أن يتعب أخيراً. فقد قاد طائرته الخاصة الى نيس، ثم قاد سيارته هذه ساعات، كما فعلت هي. وهو دون شك يقصد مكاناً غير بعيد عنها. وفي الصباح عندما يتبين أول شعاع ضوء...

قفز حيوان على بعد أقدام منها، مرّ بسرعة لم تستطع معها التعرف إليه. لكن مهما يكن، فقد كان ضخماً.. وتفحصت بسرعة اقفال الأبواب وأوصدت النوافذ.. لقد أطبق الظلام على ما حولها تقريباً، لكن يجب عليها أن تغادر السيارة الآمنة حتى تتفقد صندوقها لترى ما إذا كان فيه أضواء تحذير، فإذا لم يكن فيه، فالبقاء داخل السيارة أخطر من المبيت خارجها.. صحيح أن لويد قال إن لا أحد يجتاز هذه الطريق بعد الظلام.. لكن ماذا لو اجتازها أحد ما؟ فمن يقود سيارة في الظلام وفي طريق جبلي ضيق لن يرى سيارة متوقفة أمامه إلا بعد فوات الأوان.

قاومت نداء الخوف الذي كان يحثها على البقاء في الداخل، وفتحت الباب بقلق.. فكرت في احضار مصباحها اليدوي من حقيبتها الملقاة قربها، لكنها لم تكن راغبة في تفريغ البطارية باكراً والليل المظلم الطويل مايزال بانتظارها. فكرت ثانية بموري لويد، ولعنت عجرفته وقساوة قلبه التي دفعته الى تركها في مثل هذا المأزق، غير عابىء بما سيكون عليه مصيرها. تجمعت دموع الغضب والاحباط في عينيها فأرجعتها الى الوراء، مصممة على عدم الاستسلام خوفاً وأسى على النفس.

خطت خارج السيارة واستدارت الى الوراء ممررة يدها على السيارة، تستوحي الارتياح من ملمسها الصلب. عندما فتحت الصندوق بسرعة، أغمضت عينيها يائسة.. فلا وجود لأضواء الانذار.

تناهى إليها وقع حيوان يركض مسرعاً بين العشب عبر الطريق،

وصراخه، ثم تبع الصوت والصراخ صمت مطبق.. ارتجفت ولفت ذراعيها حول جسدها. وأسرعت تعود الى السيارة.. لم يعد لديها شك في المكان الذي ستقضي فيها ليلها.. ستدخل السيارة وتقفل عليها الابواب سواء أكان فيها أضواء انذار أم لم يكن.

فجأة، ردّت رأسها الى فوق، تخفي أنفاسها.. أيمكن أن يكون معقولاً؟ أهي سيارة التي تسمعها؟ طافت في نفسها اثارة مجنونة وهي ترى أنوار سيارة تدنو منها مقتحمة الظلال القاتمة التي تلوح عبر الطريق أمامها. فقفزت الى منتصف الطريق تلوح بيديها وتصيح... فجأة.. هبطت ذراعاها الى جنبيها وتلاشت البسمة عن شفتيها... إنه موري لويد في سيارته، التي أوقفها على مقربة منها... حدقت فيه وهي لا تصدق. تشعر بالراحة وبجنون غاضب في آن معاً.

مد يده وفتح لها الباب قائلاً بتجهم:

ـ حسناً.. هل ستقفين هكذا تحدقين بي طوال الليل؟ أم ستصعدين في السيارة؟

ـ أنا.. بحاجة الى.. أشياء من سيارتي.

ـ احضريها إذن. واسرعي.

تناولت بسرعة الحقيبة والسترة من سيارتها وصعدت الشيروكي. ثم حدقت في موري وهو يبتعد بالسيارة إلا أنه استحال عليها قراءة أساريره في ضوء لوحة العدّادات الخفيف، لكنها شعرت بأن تعابير وجهه لن ترضيها أبداً. فعضت على شفتها لمنعها من الارتجاف. إن سوء حظها انقلب فجأة وأصبح أكثر من حظ سعيد. فها هي، في مكان واحد، وحدها مع الرجل الذي قطعت آلاف الاميال لتكتب عنه. وهو المسؤول عن هذا الحظ.. لا هي!

نور المغيب انحسر تاركاً عتمته. لم يتفوه موري بكلمة واحدة

خلال تحرك السيارة بثبات عبر الظلام حيث كان يركز اهتمامه كله على القيادة في هذه الطريق الملتوية بسرعة. كانت تجلس على طرف مقعدها، تحاول التحديق أمامها في الظلام. فلم تستطع أن ترى إلا الارض البرية الموحشة التي يقطعانها بسرعة، وأحست أنه ينظر إليها، فالتفتت نحوه.

قال لها آمراً بصوت أجش:

ـ ضعي حزام الامان حولك. فأنا أعرف كل منحنى وحفرة في هذه الطريق.. لكن كل شيء ممكن في العتمة.

ارتدّت بطاعة عمياء، الى الخلف فلفت الحزام حولها. انتظرت منه قول شيء آخر، لكنه بقي صامتاً... أخيرا تنحنحت وقالت مترددة:

ـ أشكرك لأنك عدت إليّ.

ـ لم يكن أمامي خيار آخر. قلت لك إن هناك وحوشاً تجوب هذه التلال ليلاً.. وأحسست بأنك ربما لن تتمكني من تشغيل محرك سيارتك...

محت لهجته المتوترة رغبة أنيتا في أن تكون اجتماعية معه.. فقالت:

ـ لم يكن الامر سهلاً.. فالسيارة اللعينة رفضت التحرك ثم لما فحصتها وجدت بقعة زيت تحتها... لا بد أن شيئاً ما قد تعطل حين اضطررتني للخروج عن الطريق.

نظر إليها فلاحظت بسمته وقال بهدوء:

ـ أنت من أخرجت نفسك عن الطريق. لكن وحتى وإن اشتغل المحرك ما كنت لتتمكني من الوصول الى الطريق العام في الظلام دون حدوث متاعب.

ردت ببرود:

ـ كنت أنت المتاعب الوحيدة التي واجهتني.. صدقني لولا تدخلك، لتدبرت أمري على هذه الطريق دون صعوبة.

ـ أشك في هذا.. على كل الاحوال، لا فائدة من الجدال الآن.. يجب أن تتدبري أمر سحب السيارة من مكانها.

ـ هل نحن ذاهبان الآن الى كاراج؟

ضحك وهز رأسه:

ـ أنت لا تعرفين حقاً أين نحن من الجحيم.. إن أقرب كاراج إلينا هو تحت هذا الجبل، على بعد لا يقل عن خمسين ميلا رجوعاً نحو نيس. ولا شيء أمامنا إلا بضع قرى مبعثرة.. سنؤجل أمر الكاراج حتى الغد.

ـ إذن الى أين نحن ذاهبان؟

ـ الى حيث تقضين الليل حتى نتدبر أمر سحب السيارة وايصالك الى نيس عند انبثاق نور النهار..

أحست ثانية بنظراته عليها، وأجبرت نفسها على ردها. قالت تدافع عن نفسها:

ـ لا تنظر إليّ هكذا، فما حدث ليس ذنبي. إنك أنت من قطع عليّ الطريق.. هل ستنقلني الى فندق في إحدى هذه القرى التي ذكرتها؟ كيف تتأكد أن عندهم غرفة شاغرة؟

رد حانقاً:

ـ يا إلهي أنت لا تعرفين شيئاً عن هذه الجبال.. قلت إنك هنا لاجراء بحث جامعي.. فلماذا تجهلين كل شيء عن المنطقة. ربما ما كان يجب أن أسألك من أنت.. بل ما إذا كنت تعرفين من أنا؟

ردت بسرعة:

ـ طبعاً أعرف من أنت.. أنت رجل مجنون يحسب نفسه مالكاً طرقات العالم أجمع... وأنا أرفض تلميحك الى أنني جاهلة غير

مستعدة... فمن الطبيعي أن أعرف شيئا عن المنطقة. لكنني لم أكن أتوقع حدوث عطل في سيارتي قبل اقامة مخيمي..

وصلا الى فسحة مفاجئة بين الاشجار، تسلل منها موري الى طريق ضيق. فجأة ظهر حيوان أمام أنوار السيارة، فسارع الى ضغط المكابح. فهمست أنيتا ببهجة صادقة:

ـ إنه قط الجبل... من النادر رؤيته.. أذكر أنني خيمت مرة عدة أيام على أمل أن ألمحه.

تسمرت عليهما نار عيني القط المتوحش الخضراء بمزيج من الخوف والدفاع.. ثم عاد مسرعاً الى الدغل. فتابع موري السير متمهلاً، وقال:

ـ حسناً.. إذن لقد جئت الى المكان المناسب. أحياناً أظن أن القطط البرية هي الوحيدة الموجودة هنا. إنها تُغير على المهور والعجول...

وصمت، كأنه تكلم أكثر مما يجب.. ثم قال:

ـ وصلنا. احملي ما تريدين من حاجياتك من السيارة.

نظرت من نافذة السيارة، لترى ما إذا كانا قد وصلا الى مكان ما لأنها لم تشاهد شيئاً أمامها، فجأة انعطفت السيارة نحو فسحة في نهايتها يقبع منزلاً منخفض السطح مستطيل البناء. بدا وكأنه مبنى عند سفح قمة جبل تكاد تسد الرؤية عن النجوم. لكن النور الخفيف جعلها لا تستطيع الحكم عليه جيداً.. قفز موري من السيارة متجهاً نحو المنزل. فتناولت أغراضها وأسرعت خلفه فلا تريد أن تبقى وحيدة في الظلام.

إذن.. هذا هو المكان.. هذا هو منزله المنعزل.. يا لحظي! لقد وصلت على غير توقع الى مخبئه السري. بهذا القول كانت تناجي نفسها.. قاومت رغبة مجنونة للضحك بصوت مرتفع..

عندما فتح باب المنزل أطلت منه امرأة متينة البنية، سوداء الشعر تبتسم وتمسح يديها بميدعتها.

ـ بون سوار مسيو... نحمد الله على وصولك.. لقد أوشكنا أن نقلق عليك.

اتسعت عينا المرأة حين تجاوزتا سيدها باتجاه أنيتا.

ـ مسيو؟ هل أحضرت معك ضيفة؟

ـ مساء الخير جانيت.. وقع لهذه الشابة حادثة سيارة. وهي بحاجة الى مكان لقضاء الليل. أتسمحين بمرافقتها الى غرفة الضيوف؟

التفت الى أنيتا وأشار الى جانيت:

ـ ستدلك جانيت الى حيث تغسلين يديك ووجهك والى حيث تودعين أغراضك.

ـ شكراً لك.. أنا حقاً شاكرة جداً...

ـ لا تشكريني.. فأنا أفعل ما يجب فعله.. ستحضر جانيت لك صينية طعام، واقترح عليك أن تأكلي ثم تستريحي. فأمامك غداً يوم طويل. والآن، اعذريني لأنني سأذهب لأقوم بتدبير أمر سحب سيارتك التي ستقلك غداً بعيداً.

تلاشت البسمة عن وجه أنيتا وهو يبتعد عنها فقد استصعبت قبول دعوة جافة كهذه، لكن لمَ التذمر؟ وهي ضيفة غير مرحب بها في منزله. ما أحضرها الى منزله إلا لأنه أحس بالواجب.. وهذا بحد ذاته يخبر شيئاً عنه.. ربما مارغو محقة، ربما هناك بالفعل سرّ ما... شيء يضغط على ضميره ويبقيه مختفياً في هذا المكان الوعر المعزول.

إن إحرازها هذا التقدم كله منذ اليوم الاول يعتبر معجزة. لحقت بمدبرة المنزل عبر رواق مفتوح نحو ردهة تقود الى جهة

المنـزل الآخـرى. . إنـه نصـر لا يجـب أن تفسـده بـالتفكيـر فيمـا سيحدث غداً. فبطريقة ما. . ستجد طريقة لتمكث مدة أطول. . . هو دون شك غير مسرور بوجودها. . لكنه سيقتنع بقصتها التي ستتخذها حتى تبقى في منزله. . . إنها الآن في عرينه السري وسط الجبل.

ها قد أصبحت تعرف عنه أكثر من أي صحفي آخر تبعه من قبل. . . وما هذه إلا بداية.

● ● ●

٣ ـ مزرعة السماء

استفاقت أنيتا على طرق خفيف على بابها. . . تمطت ببطء، ترتجف قليلاً من البرد الصباحي بعد تحرر ذراعيها من الغطاء الصوفي. كانت قد نامت باكراً، تعبة من أحداث ما مرّ عليها وغفت عميقاً.

ردت نعسى:

ـ نعم. . ؟ من الطارق؟

انفتح الباب قليلاً وأطلت جانيت منه برأسها:

ـ الفطور جاهز مدموزيل. . أتودين أن أحضر لك صينية؟ كما فعلت ليلة أمس؟

هزت أنيتا رأسها متثائبة:

ـ أوه. . أجل. . شكراً جانيت. أكاد أموت شوقاً الى بعض القهوة.

فجأة عبست وجلست في الفراش تمسك الغطاء بيديها، ثم قالت تنادي:

ـ انتظري. . هل المسيو. . . السيد الذي أوصلني البارحة يتناول الفطور في غرفته؟

هزت جانيت رأسها ضاحكة:

ـ إنه على الشرفة مدموزيل، حيث يتناول دائماً فطوره.

ـ عظيم إذن.. لا تهتمي بالصينية.. سأخرج بعد دقائق.

اتسعت بسمة مدبرة المنزل:

ـ وي مدموزيل.. ستجدين الشرفة شمالاً..

ـ شكراً جانيت..

ما أن أُقفل الباب حتى قفزت أنيتا من سريرها وأسرعت ترتدي ثيابها. مشطت شعرها حتى انسدل حريرياً على رأسها وحول وجهها. ثم نظرت الى المرآة تغمز نفسها... لا ضير في أن تظهر أنعم وأجمل قليلاً هذا الصباح. فإذا كانت ستقنع موري لويد باستضافتها وقتاً أطول فعليها أن تستخدم كل الوسائل المتاحة أمامها.

تحركت بسرعة تحاول التعويض عن الوقت الضائع، اتبّعت تعليمات جانيت رافضة الإغراء الذي يحثها على النظر الى كل غرفة تمر بها.. نظرت عبر الأبواب الزجاجية وتنهدت ارتياحاً... أجل.. موري يجلس هناك يتكىء على حائط صخري منخفض، يرتشف فنجان قهوة ويتطلع نحو قمة الجبل المكللة بالثلج، حيث تتصل بالافق الأزرق.. وترددت. كم هو قانع ومسالم، وكم هو يلائم هذا الجو الجميل. ثم تنفست بعمق وفتحت الباب. لتقول بإشراق وحبور:

ـ صباح الخير. أليس يوماً رائعاً؟

التفت إليها دهشاً:

ـ لم أتوقع رؤيتك باكراً.. قلت لجانيت...

ـ عرضت عليّ الفطور في غرفتي. لكنني شئت أن أسهّل عليها الامر بانضمامي إليك هنا... رائحة القهوة هذه لذيذة. أتسمح؟

ـ تفضلي.. بكل سرور... أعتقد أنك تودين أيضاً تناول الطعام.

ـ بكل تأكيد.. إنه هواء الجبل.. أكاد أموت جوعاً!

وضع فنجانه من يده:

ـ حسناً.. أعتقد أن جانيت ستطعمك خير طعام.. هل تأذنين لي الآن؟

ـ ما عرفت أنك تناولت طعامك.. كان يجب أن تخبرني جانيت...

قاطعها بوقاحة:

ـ لقد عرضت عليك تناول الطعام في غرفتك.. وكان يجب أن تقبلي بها. لقد احتسيت قهوتي التي أفضل أن ارتشفها وحدي.

تضرّج وجهها وهو يتكلم، فردت ببطء:

ـ أنا اسفة.. إذا أحببت.. فسأ..

تعالى صوت جانيت مقاطعاً بمرح:

ـ نهارك سعيد سيدي.. لطفاً افتح لي الباب. ميرسي مسيو.. أظن هواء الجبل النقي فتح شهية المدموزيل.

ازداد عبوس موري وهو يشاهد الصينية الفخمة التي وضعتها جانيت على الطاولة.. وسأل:

ـ ما هذا كله؟ جانيت.. تعرفين أنني لا أتناول فطوراً ثقيلاً.

هزت المرأة كتفيها وابتسمت بسعادة:

ـ لكنه صباح مميز مسيو. فلديك زائرة.. وظننت أن هذا سيسعدكما...

وتلاشت بسمتها وهي تردف متجهمة:

ـ لكن... إذا كان هذا لا يرضيك.. مسيو...

هز موري رأسه أمام دهشة أنيتا وتنهد:

ـ لا جانيت.. بالطبع لا. إنها فكرة رائعة.. في الواقع لا أستطيع الانتظار حتى أتذوق هذا البيض.

فضحكت جانيت بسعادة ومسحت يديها:

ـ بون.. إذا احتجتما الى المزيد.. نادياني.

وغادرت مدبرة المنزل.. وتنحنح موري.. ثم قال:

ـ حسناً.. لن أخيّب أملها بعد أن تكبدت المشقة.

رفع الغطاء عن الصينية:

ـ أرجو أن.. يعجبك هذا النوع من الطعام.. لا شك في أنها أعدّت الكثير منه.

ـ إنه فطور المزارع.. لقد ترعرعت في مزرعة شمالي انكلترا... لذا أحب الاجبان والبيض المقلي... وفطائر الحلوى؟ لم أتناول مثل هذا منذ زمن بعيد.

ارتفع رأس موري ينظر إليها دهشة، فلعنت نفسها على تسرعها في الكلام، وقالت تحاول اصلاح زلة لسانها:

ـ كنت بعيدة عن الجامعة أقوم ببعض الابحاث.. ألن تتناول بعضاً من هذا الفطير الذي يبدو لذيذاً؟

ـ أين كنت تقومين بابحاثك؟ في لندن؟

ـ لا يمكنك القيام بدراسة علم الاحياء البرية في المدينة! ما الذي جعلك تظن أنني كنت هناك؟

ـ لست أدري.. إنه احساس... فثمة شيء ما فيك... في تصرفك.. وطريقة كلامك.. شيء ما مألوف..

تسارعت نبضاتها.. كوني حذرة فيما ستقولينه فلا يمكنه أن يربط شيئاً بينك وبين المرأة التي التقاها في الزقاق... ما هذا إلا شك.. فهو حذر كثعلب يتقدم من خمّ دجاج.. فإذا قلت شيئاً لا يتوقعه فقد يخرجه عن طوره..

قالت باشراق:

ـ لا تقل لي إنني اكتسبت لهجة أهل لندن في سنة واحدة.

أنت دقيق الملاحظة.. لقد كنت فيّ لندن هذا الخريف.. لقد قمت بدورة مع استاذي الجامعي هناك، فساعدته في دراسة تتعلق بالمواد السامّة وبمدى امتصاص الدهنيات لها... هل أصب لك المزيد من القهوة؟ أتود سكراً مع الحليب؟

كانت عيناه مستقرتين عليها بإمعان أخافها:

ـ ما اسم أستاذك؟ (سألها بسرعة).

ـ إنه ليس أستاذي..

وتذكرت اسم بروفسور قابلته منذ سنتين فتابعت بسرعة:

ـ إنه البروفسور بورتون... وأشك في أنك سمعت عنه.. أقلت إنك تريد قهوة؟

ـ لماذا تصرين على تغيير الموضوع؟

بدت ضحكتها مصطنعة، حتى لأذنيها:

ـ أنا لا أحاول تغيير الموضوع.. لكنني لا أظن أن الحديث عن البروفسور بورتون وخلايا الحيوانات الدهنية، أمر يهمك، خاصة ونحن نتناول الفطور في مثل هذا اليوم الجميل.

نظر إليها موري مفكراً:

ـ أنا لست مهتماً بالبروفسور في الواقع.. بل إنك أنت من تثيرين فضولي... يبدو لي لقاؤنا غريبا قليلاً... لقد قدت سيارتي على الطريق نفسها منذ سنوات.. كانت السيارة الوحيدة التي أشاهدها عليه لشخص أعرفه عادة.. شخص من مزرعة مجاورة.. أنا حتى الآن لا أعرف شيئاً عنك.. لا شيء أبداً.

شحنت المسافة بينهما بتوتر كهربائي. وكأن لشكه فيها وجوداً شبحياً يطوف فوق المائدة الصغيرة. وعلمت أنيتا أنها تبالغ في تمثيلها لذا فكرت في أن تقنعه بألا يخشى شيئاً لأنها لا تشكل تهديداً له. كانت خطتها الاساسية، أن تتبعه حتى مخبئه، لتراقبه،

ولتلتقط صورته وصورة من قد يكون في هذا المخبأ أيضاً، معتمدة ربما رشوة أحد أفراد أهل بيته أو موظفيه، حتى تدخل الى المنزل وتصور تفاصيله الحميمة الدقيقة. هذه بالطبع كانت خطتها قبل أن تعرف مكان سكنه، وقبل أن تعرف أنه ليس في هذه المنطقة إلا جبال وقمم لا نهاية لها، وهضاب وسفوح معشوشبة خضراء... ولم تتوقع البتة.. حتى في أكثر أحلامها جنوناً، أن تكون ضيفة في منزله، تتناول الفطور معه، وترد على أسئلته.

لقد حان وقت الحركة... حركة جريئة. حركة تصيبه بالدهشة وتزيل ما تبقى من شك حولها. ابتسمت له بجهد بالغ، ثم وضعت شوكتها من يدها ومدتها إليه:

ـ أنت على حق بالطبع. فها أنا... أفرض نفسي على ضيافتك، دون أن أذكر لك اسمي حتى... اسمي أنيتا كوين.. أعتذر لأنني لم أعرفك الى نفسي ليلة أمس، لكنني كنت متضايقة، وأنت تفهم بالطبع سيد لويد.

أخفض فنجان قهوته الى الطاولة وتمتم:

ـ إذن، أنت تعرفينني.. فلماذا حين سألتك البارحة..

غضّت طرفها بسرعة بطريقة تدعي فيها البراءة:

ـ أعرف... إنه لغباء مني.. أرجو أن تقبل اعتذاري.. أترى.. أنا لم أعرفك فعلاً في البداية. ومن المخجل أن أقول هذا لشخص مثلك. لكن طريقة التقائنا على الطريق لم أتوقعها. أعني.. صحيح أنني شاهدتك على الشاشة، إلا أن رؤية ممثل شهير في طريق مهجور وسط جبال الألب.. أمر غير معقول... قد يبدو لك الأمر سخيفاً سيد لويد.. لكن ليس لدي عذر اخر.. وأعدك بأن أشاهد أفلامك كلها في المستقبل. وكيف لي ألا أفعل بعد أن التقيتك؟

امعن فيها موري النظر، دون ان يظهر على وجهه تعبيرا ما. لقد كان وجهه خالياً من أية ردة فعل.. أخيراً رفع فنجانه ليرتشف ما تبقى فيه من قهوة. ثم قال:

ـ هذا جيد انسة كوين.. أخبريني.. متى اكتشفت هذا الاكتشاف العظيم؟ أعني أنني مورتيمور لويد.. أكان منذ أن وصلت الى منزلي أم أنها فكرة لمعت في منتصف الليل؟ أم أن الامر لم يكن هكذا قط؟ ربما كنت تعرفين هويتي حتى قبل أن التقيك على الطريق؟

مهلك أنيتا... إنه يتلاعب بالطعم، وما عليك إلا تثبيت الصنارة، والتقدم ببطء وحذر..

ضحكت بخفة، لكنها سرّت حين أحست بالاحمرار يكسو وجنتيها:

ـ لست واثقة مما تقصد سيد لويد.. لم أعرف من أنت في البداية.. لكنك بقيت تسألني ما إذا كنت أعرفك.. فبدوت لي مألوفاً.. وبقيت أفكر، لماذا تصر على هذا السؤال، فقلت في نفسي إنه بهذه الطلعة البهية والكتفين العريضتين أشبه بنجم رياضي.. لقد خطرت لي الفكرة بعد أن أوصلتني جانيت الى غرفتي... وكم أحسست عندها بالغباء. هل ظننتني حمقاء سيد لويد؟

اتسعت عيناها براءة وهي تنظر إليه.. لكن نظراته بقيت باردة إلا أن فيهما بداية ابتسامة طفيفة:

ـ هكذا إذن.. لولا سؤالي عما إذا كنت تعرفين هويتي لما عرفت من أنا.

ـ قلت لك إنك ستعتقدني بلهاء، وأحس فعلاً بالغباء لأنني منذ

أسبوعين شاهدت أحد أفلامك على التلفزيون.. واسمه «القدر» ما أروع ما كنت فيه!

ذكرت عمداً اسم فيلم قديم، لم يبرز فيه كثيراً.. ولاحظت أن بسمته اتسعت.. ورد بأدب:

ـ شكراً لك.. أنا سعيد باعجابك به.

ـ لا أعرف الكثير عن التمثيل. لكنني أعرف متى يقوم أحد بعمل جيد.. وأنت بكل تأكيد كنت جيداً في ذلك الفيلم.

ـ يسرني سماع قولك هذا آنسة كوين.. وماذا عنك.. هل أنت بارعة في عملك؟

ـ بارعة في عملي؟ لا أفهمك!

ـ هل أنت بارعة في علوم الاحياء؟ أعتقد أنك تظنين بأن مشروع دراستك هذا سيحسن وضعك العملي مستقبلاً.

ـ أوه.. أجل.. أنا واثقة من هذا. ولابد أنني سأجد الكثير من الحيوانات لأراقبها هنا. ألم تقل ليلة أمس أن هناك الكثير من القطط البرية في هذه الجبال؟

ـ ثمة الكثير منها كما ثمة الكثير من الضباع والذئاب وبنات آوى أيضاً.. ستجدين نفسك مشغولة دائماً.. على أي شيء ينصب اهتمامك؟

ـ على كل شيء... عاداتها، مصادر طعامها، مخابئها وما الى ذلك.

ـ أليست دراسة واسعة؟.. لم أكن أعلم أن الدراسات الحيوانية تتم هكذا.

ـ إنها ليست دراسة مقررة.. أحتاج الى معلومات استخدمها في دراستي.. وأقترح أستاذي عليّ هذه المنطقة.

أشاحت بوجهها عنه لتنظر الى الجبال الممتدة وقممها المرتفعة

بجلال بدءاً من العشب المبلل بالطل:

ـ هذا المكان رائع.. مناسب تماماً. ليتني أستطيع البقاء بضعة أيام حتى أسجل أفكاراً مبدئية...

وقف فجأة فأذهلها، فنظرت إليه بدهشة، خشية أن تكون قد ضغطت عليه كثيراً.

قال لها بصوت فيه ضيق:

ـ إنه لمن سوء الحظ أنك ستضطرين الى البقاء هنا لأنني حتى الآن لم أتمكن من ترتيب أمر سحب سيارتك.

صعب عليها كبح السعادة الغامرة المفاجئة التي استولت عليها وهي تسمع هذه الكلمات:

ـ أتعني أنك لم تجد أحداً يهتم بسيارتي؟

ـ لم أستطع الاتصال بالكاراج بعد... نحن معزولون هنا تماماً آنسة كوين..

ـ نادني أنيتا..

ـ أنيتا إذن.. لا خطوط هاتف لدينا.

ـ لا خطوط هاتف؟ لكنك قلت ليلة أمس...

ـ قلت إنني سأستدعي من يحملك وسيارتك الى الكاراج. لدي لاسلكي للارسال والاستقبال أتصل بواسطته بشخص في الوادي يتلقى عني الاتصالات الهاتفية. الامر معقد.. لكنه ناجح معظم الاوقات.

ـ معظم الاوقات؟

ـ لسنا في مدينة... وخطوط الهاتف تتعطل دائماً. لكن لا تقلقي... أعتقد أن الخطوط ستكون صالحة غداً.

ـ لست قلقة.. لكنني أتساءل عما إذا كنت تجد الحياة في هذا المكان غير مريحة؟

ابتسم برضى:

ـ أبداً. لقد عشت حتى الآن هانىء البال دون هاتف، الحياة دون كهرباء صعبة صدقيني.

ـ لكنني رأيت أضواء ليلة أمس.

ـ قلت لك إن الحياة دون كهرباء صعبة، فبعد سنوات من العيش على ضوء الشموع.. اشتريت مولداً.

ـ أنت تعيش هنا منذ زمن إذن؟

اختفت بسمته ورفع كرسيه الى الطاولة:

ـ سأحاول الاتصال بعد الظهر.. أما الآن فلدي عمل.. أرجوك اطلبي من جانيت أي شيء تريدينه.. إنما أقترح أن تلازمي جوار المنزل. أعرف أنك عالمة أحياء، لكنني لست مقتنعاً بأنك حقاً متحضرة لوحشية وخطورة هذه الجبال... وأكره أن أسارع الى نجدتك مرة أخرى.

ـ مرة أخرى؟ هذا ليس عدلاً... تلك الحادثة بالامس لم تكن غلطتي.

انتظرت حتى تأكدت من عدم عودته ثم هبّت على قدميها مسرعة الى داخل المنزل، مصممة على أن تكون على مقربة حتى تلتقط الصور إذا تمكنت. من كان يظن أن نجماً ساطعاً مثله يعيش في عزلة كهذه مقطوعاً عن العالم في مكان رائع بريّ متوحش.. دون هاتف؟ وماذا يقول؟ لقد قضى سنوات دون كهرباء؟ حسناً.. إذا كان لديه سرّ يخفيه.. فهذا هو المكان الأنسب لإخفائه. إنه هو القصة.. وهو الآن في مكان ما في الخارج، ربما في الجبال.

غادرت بسرعة غرفتها تحمل الكاميرا متجهة الى الجهة الأخرى من المنزل:

ـ جانيت؟ هل أنت هنا؟ جانيت؟ أوه.. هذا أنت! كنت

أتساءل.. أين ذهب المسيو.. أتعرفين؟ نسيت أن أسأله شيئاً.

ـ لقد ذهب الى حيث يذهب دائماً حين يصل الى مزرعته مدموزيل.. وهي مزرعة يسميها «مزرعة السماء».. أليس اسماً ملائماً؟

التفتت جانيت الى النافذة الكبيرة وراءها وأشارت بيدها الى القمم المكللة بالثلج:

ـ الى هناك يذهب دوماً.

ـ أتعنين أنه يرتقي الجبل؟

هزت المدبرة رأسها وعادت الى المطبخ فسألتها أنيتا:

ـ سأسأل سؤالاً آخر. أهو وحده؟ أعني.. هذا منزل كبير... أليس فيه أحد غيره؟

أشاحت جانيت نظرها عن أنيتا:

ـ ليس هناك أحد الآن مدموزيل.. لا أحد سواه.. أليس رجلاً طيباً؟

نظرت إليها أنيتا بدهشة:

ـ أجل.. أجل يبدو كذلك.

تأملتها المرأة بصمت، ثم ابتسمت:

ـ الاسطبل خلف المنزل مدموزيل.. قولي لميشال إنني أرسلتك ليسرح لك جواداً.

اتسعت بسمتها وانخفض صوتها حتى الهمس:

ـ إذا أسرعت مدموزيل، قد تلحقين بالمسيو..

هزت أنيتا رأسها شاكرة، لكن صوت المدبرة أوقفها في منتصف الممر.

ـ مدموزيل.. أنا مسرورة لأن المسيو أحضرك الى المنزل. ربما.. قريباً.. سيسرّ هو كذلك.

هزت أنيتا رأسها ثانية لأنها لم تستطع إيجاد رد مناسب على قولها، لكنها وبينما هي تنظر الى وجه جانيت البسيط المنفتح أحست بوخز الخجل.

• • •

٤ ـ ماذا تريدين؟

أمسكت أنيتا اللجام بيد، بينما ربتت بالاخرى على عنق مطيتها المطمئنة. رفعت الفرس العربية الأصيلة رأسها ترد التحية بصهيل ناعم ثم تابعت طريقها بأناقة في الممر الضيق المظلل المفضي الى الجبل. اتبعت أنيتا تعليمات جانيت نحو الاسطبل الحجري المسقوف ثم هناك استخدمت مزيجاً من اللغة الفرنسية والاشارات لتقنع الشاب ذا العينين السوداوين والبسمة الخجولة أن يُسرج لها الفرس الرمادية ويساعدها على امتطائها وحين سألته عن المكان الذي قصده السيد لويد، أشار الى قمة الجبل المرتفع فوق المنزل.

كانت الشمس قد أحرقت ما تبقى من ظل الصباح وضبابه. لكن.. ما إن دخلت الممر بين أشجار الصنوبر المرتفعة كحراس متأهبين على جانبي الجبل، حتى اختفت الشمس عنها. قادها الطريق الى الأعلى عبر أشجار يتلوى كأفعى تتسلل بكسل بين العشب المرتفع. وكانت أغصان أشجار الصنوبر الثقيلة تتدلى فوق رأسها، تسد منافذ النور، مخرسة وقع حوافر الفرس. ما كان هناك ما يتحدى سلطان الصمت إلا صيحات طير بين الحين والآخر.

ارتجفت أنيتا على الرغم من ارتدائها الكنزة الصوفية السميكة، فالغابة مخيفة باردة... برق أمامها في الممر لونان عاجي وبني، فرفعت الفرس رأسها متوترة، تنفخ بصوت مرتفع من فتحات أنفها

لتلتقط رائحة ما مرّ بها. ما أسهل الضياع بين هذه الاشجار.. أحست أنيتا بالخوف لأنه في مكان منعزل برّي كهذا، قد يحدث أي شيء.. لكنها لم تكن تتوقع ما قد تجده حين تبعت مورتيمور لويد من المطار حتى هذا الجبل الجميل، أرض الوديان العميقة، والشلالات المرتفعة، والصيد الوفير.. كانت قد صورت لنفسها صورة عن حياة موري معتقدة أنه يعيش في منزل أنيق مبني بعناية في فسحة واسعة بين أشجار مشذبة مقلمة. منزل غالي الثمن فيه الفخامة والترف وبركة سباحة ومعجبون... لكن لا شيء مما تصورته هيأها الى هذه الروعة البدائية والمكان المنعزل.

صهلت المهرة ثانية ورفعت رأسها لأن ديك ماء بري انطلق بغتة من الاشجار وهبط على الطريق أمامها، حيث التقط شيئاً عن الارض ثم طار مبتعداً. كانت أجنحته الملونة الجميلة تسرع في الابتعاد مرتفعة فما كان من عيني أنيتا إلا أن تبعتاه فوجدت نفسها تحدق في السماء الزرقاء والشمس المشرقة، فحثت الفرس حتى تسرع الخطى.

انتهت غابة الصنوبر فجأة كما انتهى الطريق الضيق.. امتد أمامها سهل معشوشب أخضر لماع كأنه بساط زمردي، يقود الى مرتفعات الجبل العليا... من بعيد لمحت جواداً وفارسه، تنعكس صورتهما فوق القمة، فعرفته رغم هذه المسافة البعيدة. إنه موري، بدا لها كما ظهر في الكثير من أفلامه، عريض المنكبين، أسود الشعر، يجلس فوق سرجه بارتياح ورجولة.. لكن ما حوله الآن من جو ارتياح ما كانت لتلتقطه الكاميرا يوماً... توقفت مترددة وهي تشعر بالسعادة لأنها تراقبه.

حين دنت منه قال:

ـ يبدو أنك منكبة على ملاحقتي في كل مكان. ألم أطلب منك ملازمة المنزل.

ابتسمت برضي، متجاهلة عن عمد نظرة الرفض في عينيه:

ـ إنه يوم خلاب.. لم أستطع مقاومة إغراء الخروج فيه.. أخبرتني جانيت أنك اعتليت صهوة جوادك قاصداً الجبل.

وكز موري جواده بلطف، فتقدم الحيوان ببطء.. وتمتم:

ـ جانيت تتكلم كثيراً هذه الايام.. وكان على ميشال أن لا يسرج لك الفرس.

ـ لم تكن غلطته. قلت له إن لابأس بهذا.. أفي طلبي ما يضير؟ أعني أنني أجيد ركوب الخيل.. لذا لا داعي الى القلق.

ـ يبدو أن لا خيار آخر أمامي.

تحرك جواده بسرعة، يخب خباً على العشب الاخضر نحو جدار صخري قرب قاعدة الجبل. فوكزت أنيتا فرسها لتلحق به، قائلة بسعادة:

ـ إنها بلاد رائعة... أتمانع لو رافقتك؟

ـ في الواقع.. أمانع.. فقد لعبت البارحة دور الرجل الصالح، ولن أقبل اليوم بأن أرعاك في الساعتين التاليتين.

اشتدت يداها على اللجام ونظرت إليه قائلة بسرعة:

ـ هذه ملاحظة غير منصفة. بامكاني ركوب الخيل مثلك تماماً.

ـ أشك في هذا.

ـ وأنا لست بحاجة الى رعاية... لقد ترعرعت تقريباً على صهوة جواد.

نظر إليها عابساً:

ـ من ترعرع على صهوة جواد، لا يمتطي جواده مرتدياً حذاءً كهذا.

تضرَّج وجهها خجلاً وهي تنظر الى حذائها.

ـ إنه جيد، فهو حذاء معد للنزهات.

ـ أعرف ما هو.. إنه مصنوع من قماش مطرز وجلد، لذا لا يعتبر جيداً للنزهات في هذه الجبال أو لركوب الخيل، ليت معداتك الأخرى أفضل من هذه. فإن كانت جيدة أمنت سلامتك حين تغادرين قريباً.

غاصت معنوياتها لكلامه وقاطعته:

ـ قريباً؟ أتعني أن صديقك في الوادي أجرى الاتصال؟

ـ لا.. ليس بعد. لكنه سيتصل قريباً.. إن سيارتك الآن بعيدة عن الطريق إذ اتجهت إليها مع ميشال عند الفجر وأبعدناها عن الطريق وذلك عبر دفعها بالشيروكي.

أجبرت أنيتا ابتسامة مؤدبة على وجهها:

ـ شكراً لك. أعتقد أنني مدينة لك ثانية. كيف لي أن أرد جميلك على ما قمت به تجاهي؟

ـ بداية... عودي الى المنزل.. لأنك تؤخرينني..

ـ لا تتباطأ بسببي.. يمكنني متابعتك..

ابتسم ينظر إليها:

ـ كما تشائين.

ووكز جواده ليسرع، فصاحت:

ـ هاي... انتظر...

لكنه كان قد تحرك بسرعة مبتعداً عنها نحو الطبقة الصخرية البارزة عند أسفل الجبل.. ترددت قليلاً.. ثم حثت فرسها في أثره.

نظرت الى قدميها لحظة.. لن تعترف مهما كان الامر أن موري على حق.. فحذاء جلدي عالي الساقين أفضل بكثير من هذا الحذاء المعد للنزهة.

أحست بالأمان عندما عدت الفرس العربية بسرعة ثم راحت تفكر فيه، هي تعلم أنه مصمم على إبعادها عنه رافضاً أي حديث يمكن تداوله، لكن لا يهم.. فليكن فظاً مهاجماً صامتاً لأنها ستلتصق به رغم هذا كما تلتصق الشوكة بجنب الجواد. إن الطريقة الوحيدة ليتخلص منها هو أن يتبخر في الهواء... ولقد تبخرا.. رمشت أنيتا عينيها ذهولاً.. مستحيل... لم تزح عينيها عنه سوى ثانية واحدة.. اختفى خلالها تماماً عن ناظريها.. شدت لجام فرسها لتسير بها الهوينا، تتطلع حولها.. لكن لا شيء حولها يتحرك إلا الاعشاب.

نادت بصوت متردد متلعثم:

ـ هاي.. موري؟ أين أنت؟

صدر صهيل خفيف من أمامها وكأنه رد على ندائها.. فرفعت الفرس الاصيلة العربية أذنيها الدقيقتين، وصهلت قليلاً.. فارخت أنيتا يدها عن اللجام تاركة الفرس تتحرك كما يحلو لها. في اللحظة الاخيرة، عندما كادت الفرس تصطدم بجدار صخري، ظهر ممر ضيق بين الصخور، فاتجهت الفرس الى الفتحة دون تردد، أما أنيتا فرفعت رأسها مذهولة تنظر الى صخور رملية حمراء خشنة ترتفع على جنبيها، فانحنت لتربت عنق الفرس وهمست:

ـ فتاة طيبة. أعتقد أنك كنت تعرفين وجود هذا الوادي الضيق طوال الوقت.. هه؟ ما كنت لأجده لولاك.. لكن الى أين ذهب مالكك؟ لا بد أنه هنا في مكان ما...

صمتت فجأة بعد أن لفت اهتمامها حركة عند نهاية الممر

الصخري هي لرعيل من الخيول ذات الجلود البرّاقة كانت ترعى راضية في العشب، على بعد مئات من الامتار.. أما موري فقبع هادئاً ساكناً على صهوة جواده يراقبها. دنت منه ببطء وتوقفت الى جانبه. فقال بصوت هامس:

ـ لا تقومي بأية حركة.. هذه الحيوانات تطير كالريح إذا سمعت صوتاً.

ـ إنها رائعة.. أهي لك؟

هز رأسه وابتسم متمتماً:

ـ لي ولأي شخص آخر... أليست جميلة؟

ـ أوه.. أجل.. بكل تأكيد.. مع أن من الصعب القول ونحن على هذه المسافة البعيدة أنها جياد عربية.

ـ بل هي عربية.. إنها أوسم وأجمل الحيوانات في العالم.

ـ هذا ما كان يقوله أبي.. لقد باع نفسه حتى يشتري جواداً عربياً أصيلاً أسود اللون، زوّجه أصيلات أفراسنا.. لقد اعتقده بعض الجيران مجنوناً، لكنه حصل على نسل قوي يعتمد عليه.

غطت عينيها بيدها اتقاء الشمس وعبست:

ـ أهي أشعة الشمس أم أن هناك الكثير من الجياد الشقراء الذهبية بينها؟

ـ ليس السبب أشعة الشمس.. أنت حقاً تعرفين الكثير عن الخيول..

ـ قلت لك إنني ترعرعت في مزرعة. وكيف يمكن لأي انسان ألا يلاحظ ذلك اللون العربي البديع؟ تبدو وكأنها مغموسة بالذهب، مع ذلك الذنب الابيض.

نظر إليها وابتسم:

ـ أجل.. لكن لا يعرف أي انسان إن هذا لون نسل عربي، غريب..

ابتسمت رداً عليه:

ـ هل تعرف معلومات كثيرة عن الجياد.. إنني لدهشة.

تلاشت الضحكة عن وجهه:

ـ لماذا؟ ماذا يدهشك؟

هزت كتفيها ورأسها:

ـ لست أدري.. لكن لو قال لي أحد إن موري لويد يملك قطيعاً من الخيول العربية في مزرعة وسط جبال الالب الساحلية، لما صدقته.

ـ وماذا كنت ستصدقين؟ إنه يملك قطيعاً من الخيول المخصصة للسباق؟ وانه يملك قصراً في هوليود؟ وانه يقضي وقته مبحراً في يخته عبر المتوسط؟ هل كنت تفضلين تصديق هذا النوع من الروايات عني؟

تضرّجت وجنتيها لأنه اقترب فعلاً من الحقيقة، وقالت:

ـ هذا ليس عدلاً... لقد قلت فقط...

تنهد وهز رأسه مقاطعاً:

ـ أجل.. أعرف ما قلت.. انسي الامر.

ـ كل ما عنيته...

رفع يده ليسكتها بجفاء:

ـ اسمعي.. كنت مخطئاً.. حسناً.. أنا آسف لأنني بالغت في ردة فعلي.. لكن لدى الجميع أفكار خاطئة عني... وأنا..

ارتسمت ابتسامة حرج على أطراف فمه وصمت.. ثم أردف:

ـ على كل حال... لا يمكنني لومك على هذا. لست مسؤولة عن المقالات الفظيعة التي تنشر عني.

احمر وجهها قلقاً، وأجابت متوترة:

ـ لا..! لا يمكن أن أكون ملامة... وربما ينشرون الاكاذيب لأنهم لا يعرفون الحقيقة.

ـ ولو عرفوها لنشروا الاكاذيب.. الامر لا يهم على كل الاحوال.

ـ لكن..

ـ قلت إن الامر لا يهم.

رفع جواده رأسه وصهل بصوت منخفض فمد يده يربت عنقه وتمتم:

ـ تغير اتجاه الريح، والخيول تشم رائحة شيء.. هل ستجدين طريق العودة وحدك؟ أريد تقصي ما يزعجها.

ـ أستطيع.. لكنني حقاً أود مرافقتك.. وأعدك، ألا أقف في طريقك.

تردد قليلاً، ثم هز رأسه فدهشت.

ـ ولمَ لا؟ بذلك لن أقلق عليك من الضياع.

ردت بكبرياء:

ـ أضيع؟ ألم أصل إليك دون صعوبة؟

حثت فرسها متنهدة.. الرجل يحيّرها.. في البداية أخرجها عن الطريق، ثم عاد لانقاذها.. وكانت دخيلة غير مرحب بها في بيته ومع ذلك عاملها بأدب وتسامح. وفكرت في الفخر الذي تحدث به عن خيوله وبالمرارة التي تحدث بها عن ظن الناس به. أحست ثانية بعقدة ذنب تجتاحها... وأحست بالانزعاج من نفسها... إن اقتناء رعيل من الخيول والقاء خطابات عاطفية لا يغير الامور... فالخيول العربية ليست سوى هواية ممتعة لرجل ثري.. أما الاشياء التي قالها... فالرجل ممثل... بامكانه مطالعة

كتاب دليل الهاتف بصوت مرتفع ومع ذلك يأسر لب مستمعيه...

بدأت تتصور عنوان مقالتها عنه: «أفضل دور تمثيلي لمورتيمور لويد هو الذي يؤديه على جبال الالب في فرنسا، حيث يمثل دور المزارع، في عالم خاص مغرور...»

عالم لا ريب في أن زوجته كرهته.. أما كلامه عن القطط المتوحشة والضباع.. فغير صحيح ولا بد أن ذلك القط الذي قابلاه ليلة أمس متطفل نادر الوجود... فممثل شهير مثله، لن يعيش في مكان فيه حيوانات أكبر من أرنب.

ـ أنيتا..

ارتفع رأسها عن إطراقة التفكير وسارعت الى حيث وقف ينتظرها:

ـ إنها الجوارح.

وأشار الى عشرات منها في السماء:

ـ انتظريني هنا حتى أبحث عن سبب تجمعها وما تنتظره.

ـ سأرافقك. (صاحت).

ارتفعت عدة طيور جارحة سوداء ضخمة عن العشب، كارهة أن تترك الفريسة الدموية على الارض. نزل موري عن جواده وانحنى على ما تبقى من جواد رمادي. ورفع رأسه الى أنيتا الواقفة قربه، وقال باختصار:

ـ إنه فهد الكوجر... إحدى تلك القطط التي جئت لتدرسي أحوالها؟ إنه ليس بالمنظر الجميل أنيتا... ولا أظنك تريدين رؤيته.

ركعت قربه قائلة:

ـ رأيت حيوانات ميتة من قبل.

لكنها سرعان ما أشاحت ببصرها عن الجرح البليغ في عنق

الحيوان، ونظرت الى موري الذي أخذ يمرر يده على جسد المهر. ثم تمتم:

ـ يا للمسكين.. لم يكن أمامه أية فرصة!

نظرت إليه، راغبة في قول شيء يريح الالم الذي بدا في عينيه:

ـ كان موته على الاقل سريعاً خالياً من العذاب... لابد أنه كان يشكو من شيء موري.

ضحك بمرارة ومرر يده مرة ثانية على جلد الحيوان:

ـ إذا لم يكن يشكو من شيء، فهو يشكو الآن.. اللعنة على ذلك القط.

ردت بسرعة:

ـ على القط أن يعيش.. أنت تأكل اللحم، وهو يأكل اللحم، وأراهنك على أن هذا المهر كان بطيئاً أو ضعيفاً... فالحيوانات المفترسة تختار فريستها بدقة...

وقف على قدميه وقال متنهداً:

ـ أعلم أنك على حق. لكنني أمضيت وقتاً طويلاً مع هذا الحصان... كان قوياً جداً. لقد ابقيناه مع فرسه في الاسطبلات أكثر مما يجب.. لقد بدا وهناً غير ثابت الخطى في الشهرين الأولين هنا، مع أنني لم أجد لضعفه سبباً.

تنهدت أنيتا:

ـ أرأيت؟ لقد كان هناك أمر خاطىء.. وهذا ما يحدث عادة. صحيح أنه تصعب رؤية موت ما اعتدت عليه. لكن ما العمل؟

أخرج الحبل المجدول المعلق على قربوص السرج وركع قرب الجواد ثانية:

ـ سأسحبه من هذه الشجيرات الشائكة.

ولف الحبل حول قائمتيه اليابستين ببراعة خبير:

ـ أما أنا أو فرنسوا فسنضطر الى المجيء الى هنا الليلة لانتظار عودة القط.

ـ فرنسوا؟

ـ إنه رئيس عمالي.

واعتلى صهوة جواده ثم ربط الحبل ليجر الحصان الميت نحو الخلاء. فأمسكت بلجام مهرتها وسارت معها الى حيث ترجل.

ـ إذن.. فرنسوا يدير مزرعتك؟

ـ فقط حين لا أكون موجوداً.

فك الحبل وأعاد لفه في دائرة كبيرة. راقبت بشدة أصابعه القوية الخبيرة وهو يلف الحبل:

ـ ماذا تفعل أثناء وجودك هنا؟

ضحك ضحكة قلق:

ـ ماذا أفعل؟ أركب الجياد، اصطادها بالحبال، أدفعها، أصلح السياج.. وأفعل كل ما يتطلبه العمل.

أمسك لجام جواده واتسعت بسمته:

ـ ماذا تخالينني أفعل؟ أجلس على الشرفة متأملاً.

احمرّ وجهها فأشاحت نظرها عنه:

ـ وماذا ستفعل بالكوجر؟

ـ أتخلص منه. هذه الجبال هي مأوى للعديد من الوحوش وكوجرك هذا...

ـ إنه ليس كوجري!

كرر عامداً:

ـ كوجرك، هذا إذا لم نذكر الذئاب وبنات آوى.. وأشياء أخرى.

سارت معه تحاول اللحاق بخطواته الواسعة وقالت:

ـ أجل.. ولقد ذكرت الضباع أيضاً.

ـ والدببة... ثمة عصابات هنا أيضاً.

ـ عصابات في هذا الزمان؟ أصدق وجود الدببة والضباع.. أما العصابات فلا.

ـ بل ثمة لصوص وقطّاع طرق ومهربون، كلهم يعبرون هذه الجبال في وقت ما. ولو كنت مكانك لعدت فوراً الى نيس.

ـ ولماذا؟ ألأنك تقول هذا؟

ـ هذا سبب جيد، والآخر واضح معروف..

وجال بعينيه على جسدها حتى احمرّ وجهها خجلاً فقالت:

ـ ألأنني امرأة؟

ـ لا.. فأنا سأقول الشيء نفسه لأي كان سواء أكان رجلاً أم امرأة، جميع الذين يفدون الى هذه المنطقة يكونون جاهلين أمرها وخطورتها... لكنك محقة، فكونك امرأة يضعك في مأزق خاص.

ـ لا فرق في هذا لدى الحيوانات. ولا أصدق كلمة مما قلته بشأن العصابات. اسمعني أنا قادرة على العناية بنفسي. وسترى ذلك حين أقيم مخيمي.

قال بهدوء:

ـ أخشى أن لا فرصة لديك.. فأنت بحاجة الى إذن خاص مني للتخييم في أي مكان قريب من هنا. ويجب أن تعلمي أنني لن آذن لك.

ـ تأذن لي؟ بالامس تصرفت وكأنك تملك الطريق.. فلا تقل لي الآن إنك تملك هذه الجبال أيضاً.

ـ لا أملكها كلها... بل أراضي لن تقطعيها في يومين وأنت

راكبة صهوة جواد. هذه مزرعة عمل أنيتا، ليس فيها مكان لامرأة تستعد لمواجهة المتاعب.

ـ ألست شديد الثقة بنفسك؟.. الرسالة واضحة لديك عمل.. لكنني لست ألهو، ولا أضيع الوقت.

ـ لم أقل هذا.

ـ بل قلت.. قلت إن هذه مزرعة عمل. وإنني امرأة استعد لمواجهة المشاكل.

ـ إنها وقائع حقيقية أنيتا.. فأنت لا تعرفين شيئاً عن هذه التلال. بل أنت لا تعرفين اختيار سيارة مناسبة لأماكن كهذه.. وها أنت الآن ترفضين الاعتراف بقطاع الطرق الذين قد يكون لهم.. اهتمام خاص بامرأة وحيدة.. أجل.. أنت تحضّرين نفسك للمشاكل.

ـ إذن دعني أخيّم على أرضك. فثمة أمان فيها.

ضحك وقاد جواده الى سفح جبل عند مجرى ساقية.

ـ أنا أملك الارض.. وهذا لا يعني أنني أضمن سلامتك.. إذا لم تصدقيني، عودي والقي نظرة على ذلك الحيوان القتيل. أما الطريقة الوحيدة لأضمن سلامتك فهو بقائي معظم الوقت أراقبك، وهذا ما لا أستطيع القيام به لأنني مشغول.

ـ لن أزعجك... ربما أستطيع أن أجد ذلك القط لك... فثمة وسائل لمطاردته خارج منطقة ما...

سخرت منها ضحكته وهو يعتلي سرجه:

ـ وكيف؟.. بعلبة رذاذ للشعر؟

ـ اللعنة مورتيمور لويد.. عد الى هنا! ألم تلقِ عليّ محاضرة عن الاحكام المسبقة منذ قليل؟ هذا ما تفعله بي بالضبط.. ألا يمكنك التريث قليلاً؟ هذه البقعة ممتازة لحقل دراستي.. إنها...

انتفضت أنيتا عندما سمعت حفيف أجنحة الجوارح العائدة حائمة فوقها بحثاً عن الفريسة التي صُرفت عنها. . . وذعرت الفرس الاصيلة أيضاً. . فجرت بقوة اللجام من بين أصابع أنيتا التي عدت خلف اللجام لتمسك به، فعلقت قدمها بين صخرتين. فصرخت من شدة الألم في كاحلها ولم تستطع إلا ترك لجام الفرس التي ولّت هاربة نحو المكان الذي سار فيه موري.

وضعت أنيتا بحذر شديد ثقلها على قدمها، فتألمت أولاً ثم تنهدت بارتياح، لأنه ليس في كاحلها الذي يؤلمها كسر. تلاشى وقع حوافر فرسها تدريجياً. . وهذا يعني أن أمامها مسير طويل حتى تعود الى المزرعة، يا إلهي ماذا لو كان ما يقوله موري عن الدببة صحيحاً؟ سحبت نفساً عميقاً ثم سوّت كتفيها. . . ما من دب قد يتقدم من كائن بشري. ولابأس بالصفير والغناء أثناء المسير أو بإحداث بعض الضجيج للاعلان عن وجودها. . سارت بضع خطوات. . وتألمت ثانية. . لو أن ذلك المغفل المتعجرف لم يتركها ويبتعد هكذا. . .

ركعت على الارض لتشد رباط حذائها، آملة إذا شدته أن تسير بشكل أفضل. عندما انحنت رأت ظلاً أسود على العشب أمامها. فشهقت مذعورة وارتدت الى الخلف وقد جف فمها وانتفض قلبها. وطال الظل حتى أدركت أنه ظل موري الذي عاد إليها.

قفز عن سرجه قائلاً:

ـ هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟

ـ لويت كاحلي قليلاً. . . أنا بخير.

ـ أواثقة أنت؟

هزت رأسها تقاوم اندفاع الدموع المفاجىء:

ـ أنا متأكدة. . حقاً. . ذعرت فرسي و. . ما الذي أرجعك؟

انحنى أمامها ليفك حذاءها:

ـ لقد مرت الفرس من أمامي كالريح لكن المشكلة أنني لم أرك فوقها. . أيؤلمك كاحلك لو حركته هكذا أو هكذا؟

وهزت رأسها على كلتا الحالتين.

مرّر أصابعه على كاحلها برقة ونعومة وقال متجهماً:

ـ إنها غلطتي. . ما كان يجب أن أتركك وحيدة. قلت لك إن المكان ليس آمناً. . .

ـ كان حادثاً أخرق يا موري قد يحدث لي وأنا أسير في الشارع. أشعر به مؤلماً قليلاً حين أقف عليه.

فجأة صدمها الموقف وما يخبئه، فابتسمت له برقة:

ـ أعتقد أنني سأكون على ما يرام خلال يوم أو يومين.

أعاد ربط حذائها ثم قال:

ـ أنا واثق من هذا. حالما تصلين الى نيس، دعي الطبيب يفحص كاحلك.

ـ فكرت. . ربما. .

ـ تفكيرك خاطىء والآن أعطني يدك. .

أبعدت يدها عن يده الممدودة ووقفت ثم تحركت بغضب فتأوهت وعضت على شفتها. عندئذ التفت ذراعه حول جيدها وجذبها إليه قبل أن تقع صائحاً بها غاضباً:

ـ لماذا أنت حمقاء عنيدة بحق الله؟ أيجب أن تنفذي دائماً الامور كما تحلو لك؟

ردت ببرود تحاول عبثاً التحرّر من دائرة ذراعيه:

ـ لا أريد عونك. . . أستطيع العناية بنفسي. .

رفعها بين ذراعيه وسار بها نحو جواده متمتماً:

ـ أمن عادتك التمرّن على الغباء مرة كل يوم على الاقل؟ كيف

تريدين السير على هذه الجبال وكاحلك على ما هو عليه الآن؟

من السخف مجادلته. إنه على حق وهذا ما تعرفه دون ريب... اجتاحها الاذلال والحرج.. وشيء آخر! كان خدها على قميصه الخشن، فاستطاعت سماع خفقات قلبه الرتيبة تحت سمعها... كما استطاعت أن تحس بعضلات ذراعيه وهي تشتد وتتوتر، أما رائحته فكانت مزيجاً من رائحة الجواد والعشب والشمس، رائحة تبعث الرضى الى النفس أكثر من أي عطر اصطناعي. كان وجهها قريباً من عنقه حتى استطاعت رؤية شعره الاجعد من خلال ياقة قميصه المفتوحة... حين شعرت بالدوار أغمضت عينيها بسرعة عن رؤية هذه الجبال التي يقبع فيها الوادي مظلماً. كان دوارها مزيجاً من الاثارة المذهلة والخوف ومن الاحساس بما هو غير منطقي أو مفهوم... ربما يكون ألم كاحلها أكثر مما تصورت...

ـ أنيتا... ما بك؟

فتحت عينيها لتلتقيا بعينيه وتمتمت، تحمر خجلاً تحت نظرته الممعنة:

ـ لا.. لا شيء.. أحسست بإغماءة طفيفة.. هذا كل شيء. هلاَّ أنزلتني الآن؟

اشتدت ذراعاه حول جيدها فترة تشعل خفقات القلب، تركها بعدها بحركة واحدة سريعة ثم رفعها فوق السرج وقال آمراً:

ـ تمسكي بعناية.

وقفز وراءها، فانتفضت تحاول تجنب ملامسته. فقال مهدداً:

ـ إذا وقعت، لن أعود إليك.. فاستندي الى صدري أنيتا... وبالله عليك.. حاولي الاسترخاء.

صعب عليها عصيان أمره لأن لامجال للتباعد والانفصال...

أخيراً استندت الى صدره مستسلمة لحركة الجواد المتمايلة ولدفء ذراعيه الحاميتين.. واستطاعت الاحساس بأنفه على وجنتها وبخشونة لحيته النامية على وجهها، كلما تحركت عبثاً لتحدّ من تلاصقهما.

فيم يفكر الآن يا ترى؟ لقد قال إنها ليست سوى مصدر للمتاعب.. وهي لم تثبت حتى الآن إلا قوله هذا.. هل سيسعى بعد لحظات الى التخلص منها كما هي العادة كلما أنقذها؟ إنه رجل غريب، لطيف في لحظة، عنيف في أخرى.. إنها عادة سريعة في فهم شخصية من تكتب عنهم، لكنه يستمر في مراوغتها.. ثم لماذا هذه المشاعر التي تحس بالذنب؟ لقد توصلت الى أعظم سبق صحفي يحلم به صحافي وهو من ساعدها عليه ومع ذلك أغمضت عينيها وتصورت نفسها على جسر متأرجح معلق على جبل تحته ينتظر وادٍ مظلم.

أحست بأن يده تلامس خدها، ففتحت عينيها على وسعيهما.. وسمعته يقول بصوت ناعم:

ـ أنيتا؟ لقد وصلنا.

انسلّ عن سرجه ووقف ينظر إليها وعلى وجهه تعبير لا يمكن سبر غوره. رفع ذراعيه ليمسك بخصرها.. ثم رفعها وأنزلها عن الجواد.. ما أن لامست يديها كتفيه.. حتى عاودها الدوار.. فتأرجحت ومالت نحوه.. اكتسب كل ما حولها ضباب الحلم ورقته، وأحست بالتعرض للخطر حين التقت عيناها عينيه. لامست قدماها الارض لكنه بقي ممسكاً بها، حتى مد الجواد أنفه يتشممها فانفصلا.

ـ سأستدعي ميشال لمساعدتك على الوصول الى المنزل.

هزت رأسها وأخفضت عينيها وقالت هامسة:

ـ أجل.. لابأس في هذا.

أمسك لجام الجواد ثم عاد فالتفت إليها ليقول بقساوة:

ـ لماذا أنت هنا بحق الله؟

أجفلتها رنة الغضب في صوته:

ـ ذكرت لك السبب.. لديّ دراسة أقوم بها.

فهمس:

ـ لا يمكنك البقاء.. مستحيل...

نعم هو على حق... الامر فعلاً مستحيل..

● ● ●

٥ ـ معرفة الحقيقة

تلاشى العصر وجلاً أمام المساء.. فراحت أنيتا تراقبه من نافذة غرفة نومها فتراءت لها قمم الجبال المكللة بالثلوج المصطبغة بلون وردي خجلاً من قبلة الشمس المودعة. كانت ساقاها مرتفعتين على طاولة صغيرة حيث ضمد كاحلها بعناية برباط مطاطي.. نظرت الى الكتاب المفتوح في حجرها، ثم تنهدت، تغلقه وتضعه على طاولة قريبة منها.

بعد أن ربط موري كاحلها على الرغم من احتجاجها أحضر لها ما ترفع عليه ساقيها. كان مؤدباً معها لكن بحزم، وجفاء تقريباً وهي تعرف السبب بالطبع. فقد أخبرها أن خطوط الهاتف مازالت معطلة.. لكنها كانت منزعجة من المشاعر التي اعتملت في نفسها منذ أن عادت معه على الجواد.. هي تعرف ما يحدث.. إنها تفقد نظرتها الموضوعية بشأنه وقد حدث لها ذلك من قبل، حين كانت تتقصى معلومات عن الاولاد المهجورين. لكنها يومذاك عرفت سبب انغماسها في القضية. أما الآن ففي المسألة خطر وعليها تناسي كل شيء، والسعي الى تسجيل الملاحظات والتقاط المزيد من الصور قبل رحيلها...

كيف لها لا تُعجب برجل آواها وهي غريبة عنه، واهتم بها ورعاها، وبقي مؤدباً حتى بعد أن تجاوزت الحد باستغلال ضيافته؟

وقفت ببطء مستندة الى الطاولة. تضع ثقلها على الكاحل المصاب بحذر كبير فوجدته باستثناء ذاك الوخز البسيط بخير. تحركت على مهل نحو طاولة الزينة الكبيرة، وألقت نظرة على الكتب التي كدسها لها موري. كانت قد وجدت أن مكتبته غرفة صغيرة حميمة تتكدّس بالكتب من الارض الى السقف.. أما معظم الكتب فعتيقة بعض الشيء من جراء قراءتها مراراً. وقد وجدت أيضاً أنها اشتريت لما تحتويه لا لملء الرفوف والتأثير على الآخرين. كان فيها كتب عن الفلسفة وعلم النفس والنقد. وثمة كتب خاصة تتحدث عن الجياد وهناك رفان ليس فيهما إلا دواوين أشعار.

اختارت كتاباً شعرياً وعادت الى كرسيها.. لكنها وجدت صعوبة في التركيز على الشعر.. ففي مثل هذا الوقت من الاسبوع القادم سيكون مقالها جاهزاً للمجلة وكلماته ستنقل ملايين القراء الى حياة موري لويد الخاصة، الى مملكته السرية التي لن تعود منعزلة عن بقية العالم. وسيكون معها الكثير من الصور.

حين تركتها جانيت التي تريد بتوق العودة الى مطبخها لطهو ما لذّ من الاطعمة استغلت أنيتا الفرصة وأسرعت الى إخراج الكاميرا الصغيرة التي راحت تلتقط بواسطتها عدة لقطات. وقد خاطرت أيضاً بالتقاط بعض الصور أثناء عودتها الى غرفتها. وها قد أصبح بحوزتها عدد وافر من الصور التي تشمل كل الغرف إلا غرفة نوم موري.

ستكون مارغو راضية تماماً.. نعم هي لا تنكر أنها لم تكشف سراً غير معروف عن زوجته وموتها إلا أن مقالتها ستكون فريدة من نوعها... فلماذا إذن هذا الاحساس الفظيع بالتعاسة؟ وما الذي دهاها؟

سمعت صوتاً رتيباً مملاً من الخارج، فوقفت متمهلة وفتحت الستارة عن النافذة قليلاً، فشاهدت عند زاوية الحظيرة المكشوفة، موري عاري الصدر يدق عمود خشبياً جديداً للسياج الفاصل الممتد حتى الاسطبل.. كان هناك عاملان محليان يعملان معه. وبينما هي تتأمله التفت إليها أحدهم وقال شيئاً انفجر بعده الثلاثة ضاحكين. لكنها لم تستطع إلا تأمل عضلات جسده القوي ومنكبيه العريضين بفعل العمل الجسدي الشاق.. فتذكرت ذراعيه اللتين ضمتاها إليه...

هزت رأسها بعنف.. ماذا دهاها؟ لقد قال لها في وقت من هذا النهار إنه لا يمكنها المكوث في منزله.. مستحيل! وقد وافقته لكن لاسباب تختلف عن أسبابه. وها هي الآن تراقبه من خلف الستائر، تتأوه متذكرة الطريقة التي أمسك بها حين عاد بها من الجبل...

همست لنفسها مؤنبة:

ـ تتصرفين كتلميذة.. ما هذا التصرف بحق الله؟

تنفست بعمق، ثم مدت يدها الى الكاميرا.. ستحب مارغو رؤية صور تظهره في ثياب العمل... وهذه ستكون رائعة. وكم ستضحك حين تعيد تفاصيل ما مرّ بها في الايام القليلة الماضية... خاصة حين تذكر لها أن موري أسر لبها.. ستكون هذه قصة مسلية ترويها حين تعود الى المدينة.

ـ مدموزيل!

انتفضت أنيتا حين تناهى إليها صوت جانيت الذي سبقه طرق خفيف على الباب.

ـ دقيقة واحدة.

أخفت الكاميرا عن الانظار وتابعت:

ـ وي جانيت، ما الامر؟

ابتسمت لها مدبرة المنزل:

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.. شكراً لك.

ـ بون مدموزيل.. حثت لأقول لك إن العشاء جاهز. أتودين أن أحضره الى غرفتك؟

ترددت أنيتا قليلاً وقالت:

ـ هل ذكر السيد أن عليّ تناول العشاء في غرفتي؟

هزت جانيت رأسها مبتسمة:

ـ أوه.. لا مدموزيل.. بل طلب مني أن أحمله إليك إذا شئت ذلك.. لكن إذا كنت تفضلين الانضمام إليه...

ـ سأنضم إليه.. شكراً لك.. لكنني أتساءل ما إذا كانت المناسبة رسمية.

غمزت المدبرة بعينها وازدادت ابتسامتها:

ـ لقد فكرت في الأمر، حين شاهدتك لا تحملين إلا حقيبة واحدة صغيرة.

ارتدت الى الوراء وأخرجت من صندوق كرتوني في زاوية الغرفة تنورة ملوّنة ريفية وقميصاً أبيض مطرزاً وصندلاً جلدياً:

ـ ستبدو الثياب عليك رائعة مدموزيل.

ـ لكن.. لمن هي؟

لوحت المرأة بيدها:

ـ إنها لي.. سأقدم الشراب على الشرفة حين تجهزين.

نظرت أنيتا الى مدبرة المنزل الاقصر والاثقل وزناً منها وقاومت رغبة في الضحك.. فأحنت رأسها وابتسمت:

ـ شكراً لك جانيت.. أنت لطيفة جداً.

إنها إيماءة لطيفة مؤثرة تعبر عن مشاعر جانيت نحوها..

خلعت ملابسها واستحمت ثم ارتدت القميص الثقيل بفعل التطريز والزهور فوجدته على مقاسها تماماً، وكذلك الحال بالنسبة للتنورة. أما الصندل وحده فكان ذا مقاس كبير، وقد أراح اتساعه قدمها المصابة.. لا شك في أن جانيت كانت تبدو صبية نحيفة في هذا الثوب. سرّحت شعرها بحذر حتى استرسل على كتفيها لامعاً كالحرير... لم يشاهدها موري بعد بمثل هذا الجمال... أبعدت ياقة القميص عن كتفيها قليلاً.. هل سيحب ما تبدو عليه أم سيتزعج من وجودها غير المرحب به؟ لكن ماذا يهم؟ فليس لملابسها علاقة بموضوع مقالتها المقبلة...

كانت الشرفة خالية إلا من عربة عليها كؤوس وابريق عصير.. تقدمت أنيتا نحو الجدار الحجري المنخفض لتتكىء عليه، تحدق الى قرص الشمس الهاوي خلف القمم كجوهرة برتقالية وهاجة. كان هواء المساء بارداً ومعطراً بعبير زهور القرنفل والياسمين.. ارتجفت في البرد فنظرت الى نفسها، متسائلة عما إذا كانت ستفسد مظهرها لو أضافت سترة الجينز أو الكنزة الى ما ترتديه... لكن ربما تعيرها جانيت وشاحاً صوفياً...

ـ من أين لك هذه الاشياء؟

شهقت مذعورة وهي تلتفت الى حيث كان يقف عند باب الشرفة وتقطيبة عميقة مرتسمة على وجهه.

ـ من جانيت.. قدمتها لي.. ثمة ما هو خاطىء فيها؟

ـ من جانيت؟

ـ أجل.. هذا صحيح. قالت إنها لها... وإنني أستطيع ارتداءها.. اسمع.. سأصعد لأستبدلها بثياب أخرى.. لقد قبلت بها لأن الجينز متسخ.. لكن لدي جينز آخر في حقيبتي ليس أفضل

من الذي كنت أرتديه لكنه على الاقل نظيف.. دقائق وأكون معك.

التفتت لتتجاوزه الى الداخل فأمسك بكتفيها:

ـ لابأس.. اتركي هذه الثياب عليك الليلة.

ـ لكن...

ـ قلت لك اتركيها.. أنت.. تبدين رائعة فيها. وأنا آسف لأنني.. لقد دهشت حين رأيتك فيها ليس إلا.. وجانيت على حق.. لا يمكنك ارتداء الجينز دوماً.. أترغبين في بعض الشراب؟

مع أن لمسة يده على كتفها كانت خفيفة إلا أنها كانت تحس بدفء أصابعه على بشرتها... راقبته يحمل ابريق العصير البارد الذي راح يصب منه السائل الذهبي الاصفر في كأسين لامعين. ثم تمتمت وهي تتناول كأساً واحدة منهما:

ـ شكراً لك.

ـ كيف حال كاحلك؟ هل تورم؟

هزت رأسها وهي ترتشف من كأسها هذا الشراب الذي له طعم مستساغ جاف وعبير أشبه بعبير الزهور...

ـ أنا بخير.. أرجوك موري لا تقلق بشأنه.

طال الصمت بينهما، ثم تنحنحت أنيتا وقالت:

ـ ماذا فعلت بشأن الحصان الميت؟ قلت إنك أو وكيل عمالك ستذهبان الى المرعى بانتظار الكوجر.

ـ ما من فائدة.. لقد ذهب فرنسوا الى هناك بعد ظهر اليوم فوجد أن الطيور الجارحة قد أجهزت عليه وأرجو أن يتوقف الامر عند هذا الحد. إن ذلك القط المفترس لا يترك وجبته إلا في حالة نادرة لأنه عادة لا يهرب تاركاً صيده هكذا. أخشى أن يعيد الكرّة بعد أن علم أن الجياد هدف سهل..

ـ أجل.. أعرف هذا. واجهنا مثل هذه المشكلة يوماً مع بنات آوى التي اكتشفت أنه من السهل اصطياد الأوز الذي تربيه أمي.. أذكر أن أبي أفزعها لئلا تعود لكن ذلك اقتضى أياماً.

ابتسم موري يهز رأسه:

ـ أفزعها؟ الطريقة الوحيدة للخلاص منها هو استخدام البندقية.

ـ أحياناً هذا هو ما ينجح.. لكن لا ضير في تجربة طريقة أسهل أولاً. لقد أرادت بنات آوى أكل الاوز وهذا ما أردناه كذلك... لذا لا أعتقد أنها أكثر منا إجراماً. أليس صحيحاً ما أقوله؟

ـ لديك وجهة نظر مثيرة بشأن الامر.. لكنني أتعجب من صدورها عن ابنة مزارع.

ضحكت أنيتا وهزت كتفيها:

ـ آه.. لقد نسيت.. أمي مدرّسة علوم.. وهذا ما أعطاني نظرة مختلفة عن الحيوانات المفترسة.

ملأ كأسه وكأسها ثانية وقال مفكراً:

ـ أجل.. أعتقد هذا... أبسبب والدتك أحببت هذا الفرع من العلوم؟

أحست مرة أخرى بعقدة الذنب فأشاحت بوجهها عنه نحو الجبال وأجابت:

ـ أعتقد هذا... بدا أنني اندفعت الى علم الاحياء حين دخلت الجامعة..

كانت هذه هي الحقيقة بالطبع.. لكنها لم تكملها، فقد غيرت اتجاهها الى الاعلام، الى الفرع الذي كان يعلمه زوجها السّابق..

ـ وماذا عنك.. كيف انصب اهتمامك على المزارع؟

سمعت وقع أقدامه وراءها، وأحست بضغط ذراعه على ذراعها وهو يقف لستند الى الجدار الحجري قربها:

ـ لقد مثلت فيلماً في أميركا عن «الكاوبوي» وكانت تلك البداية.

مازالت ذراعه تلامسها بخفة فاستدارت لتسند ظهرها الى الجدار مبتعدة عنه قليلاً:

ـ هل اشتراكك في فيلم جعلك تتورط في هذا كله؟

ضحك بهدوء وهز رأسه:

ـ ألا يبدو بسيطاً؟ لكنني امضيت أشهراً في دراسة واستكشاف هذه الوجهة.. تحدثت مع المزارعين ورعاة البقر ومربي الخيول.. وتعلمت استخدام الحبل ووسم الماشية وعشت في العراء فوق التلال خارج المزارع... بعد سنة وبينما كنت في موقع قريب من نيس أصور فيلماً اخر سمعت عن المكان وعرفت أنه معروض للبيع.. وبما أنني أدركت حبّي لهذا النمط من الحياة، قررت شراءه. لكن تطلب مني جعل هذه المزرعة على ما هي عليه جهداً كبيراً... آسف.. ما قصدت إلقاء خطاب.

ـ لا تعتذر.. إنه موضوع مذهل.. لقد سمعت عن الاستغراق في الدور التمثيلي، لكنني ما سمعت بمثل هذا من قبل... هل تغوص عميقاً في كل أدوارك؟

ابتسم هازاً كتفيه:

ـ تقريباً كلها... فما التمثيل إلا طريقة لانتحال شخصية أخرى. ولن أستطيع انتحالها إلا إذا فهمت الدور الذي سأقوم به.. لذلك أبذل ما بوسعي لتقمص شخصية الدور التمثيلي.

ـ لا تقل هذا.. لقد شاهدتك يوماً في دور رجل عصابات..

فقاطعها ضاحكاً:

ـ لا.. أنا لا أتمرّن على القتل لاستعد للقيام بدور كهذا. يومذاك أجريت لقاءات مع رجال أشداء ممن كانوا أعضاء في عصابات.. وماذا عنك؟ أعني.. حين تنتهين من هذه الدروس.. ماذا ستفعلين؟ هل ستبقين في العمل الميداني أم ستدّرسين في جامعة ما؟

ـ لم أقرر بعد... لكن اعلم أنني مهما فعلت لن تكون لحياتي الاثارة التي تجدها في حياتك.

ضحك موري وتناول كأسها منها.. وقال مكرراً كلامها:

ـ إثارة؟ ما هو المثير فيما أفعل؟ أوه.. لا أعني التمثيل.. فأنا أحب الشعور بما أضفيه من لمسات خاصة على الشخصية، بحيث أجعل الشخصية الخيالية حية ترزق. لكن حين اضطر للابتعاد عن هذا المكان، أمضي معظم أوقاتي في تجنب أشخاص يودون التطفل عليّ، أشخاص يظنونني لعبة مفتوحة لكل أنواع الاشاعات. وهذا ما يجعل لهذا المكان معنى خاصاً في نفسي. إن الشيء الوحيد المهم هنا هو كم أجيد عملي لا كيف أبدو، أو مع من أكون، أو....

ضحك ووضع كأسه من يده على الجدار:

ـ اعذريني أنيتا. إنه الخطاب الثاني الذي القيه أمامك الليلة. صدقيني، أنا لا أتكلم عادة عن نفسي كثيراً.. اسمعي.. أعدك بأن أقفل فمي أثناء تناول العشاء.

أمسك ذراعها، فكتمت أنفاسها.. ها قد عاودها ذلك الشعور مجدداً، شعور من يتأرجح في الفضاء.. فاعترفي أنيتا.. اعترفي على الاقل لنفسك.. أنت فعلاً في ورطة. موري لويد يبدو رجلاً طيباً، رجلاً لطيفاً حقاً. وأنت ستغدرين به. إنه يقوم بما في وسعه للابتعاد عن الاضواء، حين لا يمثل.. وأنت ستسلطين ذلك الضوء

على تلك الزاوية من حياته التي نجح في حمايتها. ستفسدين له حياته التي اتخذها لنفسه هنا، الحياة التي يحبها...

نظرت إليه وهما يدخلان غرفة الطعام المغلقة بالخشب.. لقد صرفت النظر عن نظرية أن زوجته مازالت حية مشوهة منذ عرضتها عليها مارغو. فكيف تكون مشوهة والعصر في تقدم. إن من السهل جداً إجراء عملية تجميل بل كيف يخفي الامر عن الصحافة إن كان في المسألة أطباء وجراحون وأشخاص اخرون متورطين بالامر... ترى هل يشعر بمسؤولية ما تجاه موتها؟ ربما هذا وارد. فبعد أن أمضت بعض الوقت معه عرفت أن لديه جانباً عاطفياً، جانباً رعائياً، لن يستطيع معه دفع امرأة الى الانتحار.

توقف فجأة في وسط الغرفة، فكادت تصطدم به:

ـ جانيت!.. جانيت..! ادخلي الى هنا، أرجوك.

دفعت مدبرة المنزل باباً متأرجحاً عند طرف الغرفة وأسرعت الى جانبه:

ـ وي مسيو؟

لم تستطع أنيتا متابعة كلامه السريع بالفرنسية. أشار الى الطاولة والزهور والشموع التي عليها، فهزت جانيت رأسها وابتسمت.. كان ردها سريعاً ككلماته... وتلاشى التوتر عن وجهه وتنهد.. ثم قال ينظر الى أنيتا:

ـ حسناً جانيت.. افعلي ما شئت.

سألته أنيتا:

ـ ثمة ما هو خطأ؟ يبدو لي كل شيء على ما يرام.

جذب الكرسي من أمام الطاولة لتجلس عليه:

ـ كل شيء على ما يرام. لكنني لا أذكر متى هي المرة الأخيرة التي تناولت فيها العشاء على ضوء الشموع، لابد أن جانيت أمضت

العصر كله وهي تقطف الزهور وترتبها وهذا كله لك أنيتا.. لقد رأت أن هذا كله ضروري لأجلك.

ردت بارتباك:

ـ هكذا إذن.. آسفة موري.. ما قصدت افتعال مشكلة لها. لا أفهم لماذا أتعبت نفسها.

ـ أما أنا فأفهم. تقول إن امرأة جميلة تستحق جلسة شاعرية، وأنا لن أناقش منطقاً كهذا.

أجبرت نفسها بجهد على إشاحة بصرها عنه.. فكل شيء منسجم حولها. لو تركت كل شيء يسير على هواه، رجل وامرأة، جلسة رائعة شاعرية.. فما هي الفرصة الفضلى لتحسين معرفتها بموري لويد؟ لكن.. ليته يتوقف عن لطفه هذا.. أين هو الرجل الجليدي الذي وصفته لها مارغو؟ أين هو الرجل المتعجرف الذي رماها خارج الطريق بالامس؟

قالت له بحذر وهي ترتب المنديل في حجرها:

ـ أنت لست كما تصورتك.

ـ ظننت أننا سوينا هذا الامر عند الصباح.. قلت لك إن الصحافة لا تنقل صورتي الحقيقية.

ابتسمت وهزت رأسها:

ـ لم أقصد هذا.. بل قصدت أنك بالامس... حسناً، لو أن أحداً قال لي إن الرجل الذي حاول تحطيم سيارتي، الرجل الذي تصرف وكأنني عدوة له، سيقول لي مثل هذه الكلمات الرقيقة التي قلتها منذ لحظات، لاتهمته بالجنون.

ضحك وقدّم لها حساء:

ـ هذا حساء فرنسي.. أتناولت مثله من قبل؟ إنه مصنوع من كل أنواع الخضار الطازجة. جانيت بارعة في إعداده، إنه لذيذ.

ـ وهل هذا هو ردك؟ تغيير الموضوع؟

تنهد..

ـ حسناً.. أعتقد أنني مدين لك بتوضيح.. أترين... أنا حذر جداً بشأن «مزرعة السماء» هذه.. فما من أحد في العالم يعرفها.. ليس لأن أحداً لم يحاول، فثمة مراسلون كثر أصروا على معرفة أمرها وقد لحقوا بي مراراً من نيس، فظننت...

ـ ظننتني صحافية؟ وماذا لو كنت صحافية؟ هل يستدعي ذلك أن تحطم سيّارتي؟ ألا تعتقد أنها لعبة خشنة قاسية؟

وضع ملعقته من يده، وابيضّ وجهه:

ـ لم يكن هناك خطر لتحطم سيارتك أنيتا.. كل ما فعلته أنني أوقفتك في فسحة آمنة من الطريق.. حسناً.. أعتقد أنك حين تصفين الامر على هذا النحو أجد ما فعلته قاسياً. لكن ليتك تأخذين وجهة نظري قليلاً، ولو أن هناك من يعتقد أن له حق التطفل على حياتك الخاصة.. لفهمت موقفي.

ازدردت الحساء، ثم ابتسمت:

ـ أنت محق. إنه حساء لذيذ.. ربما أنت على حق بشأن الصحافيين. لكنه عملهم الذي عليهم القيام به. إنهم يقدّمون معلومات عنك لأناس دفعوا المال لك حتى تشتري هذه المزرعة.. ألم تفكر في الامر قط من هذه الوجهة؟

ثبّت نظره عليها، فكتمت أنفاسها، متسائلة عما إذا كانت قد فاهت بما لا يجب تفوهه، ثم هز رأسه.

ـ إنك تبسطين الامر بطريقة فيها مبالغة كبيرة أنيتا.. لستُ مديناً بشيء للمعجبين، وأنا أكره هذه الكلمة، لأنني أقدم لمعجبيّ أفضل ما أستطيع تقديمه من تمثيل. فأنا ممثل أخترت أن أكسب رزقي عن طريق إيصال المشاعر البشرية الى مشاهديّ لذا لا يحق

لأحد التطفل عليّ أو تشويه ما أفعله ومع من أفعله.

ـ وهل هنا «مَن»؟ فأنا لم أشاهد أثراً لأحد.

ـ أنت تتناسين جانيت وفرنسوا وميشال وستة عمال آخرين يساعدونني في ادارة المزرعة.

توقف عن الكلام هنيهة ثم أردف:

ـ حسناً تناولي حساءك لأن جانيت لن تسامحك إن لم تتناوليه.

وضحك، فابتسمت:

ـ لا تخف.. لكنك لم تجبني عن سؤالي.

ـ بل أجبت.. لقد سميت لك كل من يشاركونني العيش في مزرعة السماء.

ـ ليس هناك من أحد غيرهم؟

تلاشت نظرة الرضى عن وجهه وسألها بامتعاض:

ـ لماذا هذا الاهتمام كله؟

ـ لأنني أذكر كيف كانت الحياة بالنسبة لوالدي في مزرعتهم... كانا يحبان أرضهما، كما تحب أرضك.. لكن كانت أقرب بلدة إليهما تبعد عشرين ميلاً، وأقرب جار لهما يبعد عنهما عشرة أميال. أما أنت هنا فأكثر عزلة. أعتقد أنني افترضت أنك بحاجة لمن تشاركه هذا كله، أعني أن والديّ كانا معاً.. وأنت...

وتلاشت كلماتها حتى أضحت صمتاً طال قليلاً، ثم أجاب موري:

ـ أعتقد أن لك طريقة خاصة في الوصول الى لب الامور. كان والداك محظوظين أنيتا.. وللأسف لست محظوظاً مثلهما... إلا أنني لا أنكر أن جانيت تبنت دور الام في رعايتي وهي إذا دخلت

الى هنا بعد لحظات، ووجدتك لم تمسي الطبق الذي قدمته ستغضب.

رفع الغطاء عن الطبق فتصاعدت منه رائحة الثوم اللذيذة:

ـ حسناً، قد تكون رومانسية بشكل لا يصدق لكن هذا يتلاشى حين تطبخ. هذا طبق تجيد طهوه كل الاجادة. إنه ستيك مع الفطر، والثوم، واللوبياء المقلية...

ـ أمن المفترض حقاً أن نأكل هذا كله؟ نعم هي تبدو رائعة لكن ثمة ما يكفي لإطعام قرية على هذه الطاولة.

ضحك وهو يملأ صحنها:

ـ لقد قالت إنك نحيلة.. إلا أنني أصررت على أنك رائعة كما أنت. ومن الافضل أن أحذرك أنيتا. إنها على الارجح تحضرّ الحلوى في المطبخ.

وعندما وصلت المانجا الطازجة، والجبنة الفرنسية الشهيرة، بقيت دون أن تمس..

حين اقترح موري تناول الشاي على الشرفة، وافقت بتوق، آملة أن يمحو هواء الليل البارد المنعش النعاس الذي سببّه ذلك العشاء.

كانت سماء الليل سوداء مخملية فوق الرؤوس. تلمع بنار فضية بعيدة. وبدا أن صمتاً ملموساً كان يحيط بهما حتى خرجا... صمتاً لم يقطعه إلا همس وتنهيدة أغصان الصنوبر المتأرجحة بين يدي النسيم المداعب... أخيراً همست أنيتا:

ـ أوه.. موري.. لم أشاهد في حياتي ما هو أجمل من هذا.

ـ أجل.. إنه منظر خلاب.. ثمة فسحة بعيدة عن الشرفة قليلاً، لو وقفت فيها ونظرت الى السماء، لجعلتك النجوم تشعرين بأنك تطوفين في مكان ما من الفضاء. هيا.. سأريك إياها...

أمسك بمرفقها، فارتجفت بعنف:

ـ أتحسين بالبرد أنيتا؟ كان يجب أن أعلم لن تشعري بالدفء في هذا المكان وأنت دون سترة. فلنعد الى الداخل إذا أردتِ.

ـ لا.. لا.. أنا بخير.. الجو بارد قليلاً.. لكنني أود البقاء في الخارج هنا.

خلع سترته ولفها على كتفيها سائلاً:

ـ هذا أفضل؟

هزت رأسها، مدركة بألم أن ذراعه بقيت تحيطها.

ـ كان يجب أن أطلب من جانيت إحضار وشاح يناسب ما ترتدين. سأذكرها بالامر لاحقاً.

ـ كان لطفاً كبيراً منها أن تعيرني هذه الثياب.

اشتد ضغط ذراعه عليها قليلاً وهو يقودها نزولاً على درجات السلم المنخفضة وتمتم:

ـ بل أكثر من لطف... إنه إلهام.. تبدين رائعة.

همست، شاكرة الظلمة التي خبأت خجلها.

ـ شكراً لك. حين أعيد الثياب، سأخبرها أنها أعجبتك.

ـ لا تعيديها.. اتركيها لك إنها تبدو وكأنها أعدت لك خصيصاً.

ـ لا أستطيع.. جانيت..

همس يقاطعها بصوت اضطرت الى إرهاف السمع بشدة لتسمعه.

ـ هذه الملابس ليست لها.. بل لشخص آخر... ظننتها تخلصت منها جميعاً.. لكنني مسرور الآن لأنها لم ترمها.

ـ شخص آخر؟

ـ كنت متزوجاً.. ماتت زوجتي منذ سنوات.. وهذه الثياب التي ترتدينها كانت لها.

ـ أتعني... ما كنت لأقبلها لو عرفت... آسفة موري.. ظننتها...

التفت إليها يهز رأسه، ووجهه غير واضحة معالمه تحت ضوء القمر المتسلل بين أغصان الصنوبر المحيطة بهما.

ـ لا تأسفي. إن زوجتي لم ترتدِ قط هذه الثياب.. كان هناك صناديق مكدَّسة.. تنانير وقمصان.. استوردتها لها من المكسيك وأكابولكو وأسبانيا.. كانت في جولة للتسوق في أميركا اللاتينية وأوروبا قبل الحادثة مباشرة.

صدر منه صوت، قد يكون ضحكاً ثم تابع:

ـ كانت على الدوام في رحلات تبضع وشراء. وهذا ما كانت تكرهه في هذه المزرعة لأنه لم تستطع فيها استخدام بطاقة اعتماد مصرفي.

ـ كيف وقعت الحادثة؟

ضاقت عيناه لأنه تذكر ما يؤلمه:

ـ تدهورت سيارتها ووقعت في الوادي الاحمر.. كانت تسير على ما أعتقد بسرعة مئة ميل... لقد مزقت الحاجز المعدني على المنعطف. حين ذهبت الى هناك بعد بضعة أيام...

ـ لماذا.. لماذا ذهبت الى هناك؟

ـ أردت رؤية مكان الحادث.. كنت أصور فيلماً في أميركا حين وقع الحادث. كان الامر مخيفاً أنيتا ثمة ما لا يقل عن ثلاثمئة متر حتى أسفل الوادي.. لقد اقتضانا إخراج الحطام منه أيّاماً.

مدت يدها بعفوية تلمس كتفه وفي عينيها ألم. كاد صوته يدفعها الى احتضانه لمؤاساته.

ـ يا إلهي.. ما أفظع سماع خبر كهذا.

أطبقت يده على يدها وأطرق برأسه:

ـ أجل.. لكنني توقعت هذه الواقعة سنوات، لأن سيلين كانت فتاة حلوة رقيقة، لكنها دائمة الاضطراب، حتى قبل زواجنا.

ـ لا تتحدث عن الامر موري.. لقد انتهى، سيؤلمك الحديث عنه.

ما عادت عابئة بالاصغاء الى القصة التي جاءت خصيصاً لتقصيها وملأت عيناه نظرة بدت نابعة من أعماق نفسه:

ـ انتهى زواجنا قبل موتها المرعب بزمن بعيد... كانت رغباتنا متناقضة. حاولت جهدي أن أُنجح الزواج إلا أنها كانت هشة جداً ورقيقة وتعلم أن الزواج فاشل. وأظنها بدأت تصدق الشائعات التي كانت تنشر عني في الصحف. حاولت أن أؤكد لها أن معظم ما تقرأه غير صحيح، لكنها لم تصدقني... وقد حدث أن دعوت محررين ممن كانوا ينشرون الاخبار ويحرفونها ويجعلون من غداء عمل مع امرأة علاقة غرام الموسم، للتعرف إليهم، إلا أن هذا لم يوصلني الى شيء.

ـ وسيلين.. زوجتك.. كانت تصدق كل ما تقرأه عنك؟

ضحك بمرارة:

ـ تصدقها؟ بل ماتت بسببها أنيتا. ليس هناك أخبار أو أدوية قد تعالج مثل هذا الاحباط.. ربما كان من الاجدى أن أطلقها منذ أن أخذ زواجنا بالتقهقر.. أحياناً تساءلت...

شدت على يده بين يديها وقالت مواسية:

ـ لا تفكر على هذا النحو.. قمت بما في وسعك، أعرف كيف هي الاوضاع حين تبقى مع شخص لأن احساسك فقط يقول

لك إن هذا صواب. فإذا كانت مضطربة، تركها ما كان ليمنع موتها.

ـ ربما حماها من الاحتراق بالاسيد الذي كان يرشح من كلام هؤلاء الصحافيين.. هم من دفعوها من فوق الهاوية أنيتا... هم... يا إلهي.. ماذا أفعل؟ لا أصدق أنني قلت هذا كله. لم أتحدث حتى الليلة عنها أو عن موتها مع أحد من قبل.

ـ يسرني هذا. إنه لمن المريح أن يشارك الانسان همومه مع انسان آخر.

ابتسم والتصق بها:

ـ ربما أنت على حق.. ما ظننت يوماً أنني قد أرغب في هذا الحديث. لكنني، وجدت أنه من السهل إفضاء ما في نفسي لك. أشعر وكأننا نعرف بعضنا بعضاً منذ سنوات... ربما للامر علاقة بالطريقة التي التقينا بها على الطريق، حين لم أكن موري لويد الممثل بل رجل يساعد امرأة جميلة مع أنني كنت مسبب ما حدث لك.

ـ بل أنا من زججت نفسي في المتاعب.. صدقني موري، إنها غلطتي لا غلطتك.

ـ حسناً إذن.. أنا أشكرك. فبدون ما حدث بالامس، لما التقينا.

همست تقاوم رغبة في الالتفات والهرب الى قلب ظلام الليل بعيداً عن حياته في الحال:

ـ لقد تأخر الوقت.. أشكرك على الأمسية الرائعة موري.

شد طرفي سترته تحت ذقنها مبتسماً وقال برقة:

ـ أنا من يجب أن أشكرك.

ـ لماذا؟ لأنني ضيفة غير مدعوة؟ أم لأنني منعتك من اتمام ما بدأت القيام به في المراعي هذا الصباح؟ أم لأنني..

رقّت يداه وهي تمسك وجهها.

ـ لهذا كله وللمزيد.

رفعت وجهها بطيئاً إليه، غير قادرة على منع ما تعلم أنه سيحدث.. بل ما ترغب في حدوثه. والتقيا... شفتاه دافئتان رقيقتان، لا تطلبان شيئاً.. بل تعدان بكل شيء. حاولت التفكير وتذكير نفسها بأن هذا هو مورتيمور لويد الضحية، صيدها، لكن دون جدوى.. أغمضت عينيها وترنحت نحوه، فاجتاحها مرة أخرى ذلك الاحساس بالتأرجح في الفضاء والدوران... لكن هذه المرة رافقته عذوبة، وأمان جعلاها تتنهد.. تحركت يداه الى كتفيها، لتجذباها إليه أكثر فأكثر، واستجابت برضى، رافعة ذراعيها الى ما وراء عنقه.. تنهدت من جديد، وانزلقت سترته عن كتفيها فوقعت أرضاً. وابتعد وجه موري عنها، لكنها بقيت تحس بدفء أنفاسه الناعمة على خدها وأذنها وعنقها... ثم همس:

ـ أنيتا... أنيتا...

صدر ضجيج من الاشجار القريبة وصرخ حيوان صرخة خفيفة، أعاد أنيتا الى واقعها. ففتحت عينيها بقوة وتمتمت:

ـ لا.. موري.. أرجوك.. لا يمكننا.. أنت لا تفهم..

ووضعت يديها على صدره ترتد مبتعدة عن ذراعيه فرد بسرعة وهو يضمها من جديد:

ـ أنت على حق. لا أفهم... كل ما عرفته أن هذا صواب. أنيتا.. منذ هذا الصباح، حين ظننتك مصابة وحين أمسكتك بين ذراعي حاولت أن أخبرك لكنني قلت إن المستحيل بقاؤك هنا.

تنفست بقوة وهمست:

ـ أهذا ما كنت تعنيه؟ ظننت.. موري.. لا أستطيع... أرجوك. دعني... دعني أعود الى الداخل الآن.. فهذا ما لا أريده... فما توقعته...

حل صمت الليل الفسيح فوقهما.. ابدية قياسها دقات قلبيهما مرت قبل أن تهبط ذراعاه الى جنبيه مبتعداً عنها قائلاً بتوتر:

- بالطبع لا يمكن... سامحيني أرجوك. لم أتمالك نفسي الليلة.. لن أزعجك ثانية..

صاحت:

- لا تحوّر الامر.. لم أقصد ما فهمته. ليتك تفهم.. كنت في غاية اللطف معي، رقيقاً... ولقد نلت حصتك من الالم..

سمعت تهدج أنفاسه الحاد:

- يا إلهي العزيز.. أنيتا.. لم أقصد هذا. لم أخبرك قصة سيلين كي...

- لم أقصد هذا موري.. أرجوك.

انحنى ليلتقط السترة ويعيدها الى كتفيها دون أن يلامسها.. ثم هز رأسه وضحك:

- إنها غلطتي أنيتا.. ظننتك أحسست بشيء.. أعتذر إن أحرجتك. والآن عودي الى المنزل ولا تقلقي. أنا متأكد من أنني سأتمكن من الاتصال بالقرية غداً.. وإذا لم أستطع سأعيدك بنفسي الى نيس.

خطت خطوة متمزقة المشاعر، تريد اخباره الحقيقة، تريد أن تبوح له أن وجودها بين ذراعيه جعل كل ما جاءت للقيام به رخيصاً لا معنى له... لكن... ثم ماذا؟ ماذا سيظن بها... ماذا سيقول عنها، بعد أن يعرف أنها كاذبة، مخادعة، كانت تكيد له في كل خطوة خطتها معه؟

مد يده ليلمس وجنتها بنعومة، وتمتم:

- عودي الى المنزل أنيتا.. أنا آسف.

ثم ارتدّ على عقبيه فجأة مبتعداً عنها.

٦ ـ لمن يخفق قلبها؟

كان يغلّف غرفة نوم أنيتا ظلاماً مخملياً كالذي يغطي جبال الالب الصامتة وكان وجه ساعتها المضاءة كنجمة مضيئة تلمع على معصمها... العقربان الخضراوان الشاحبان اللذان يشيران الى الساعة الثانية، ذكّراها بأن الدقائق تجر قدميها متكاسلة نحو القمر ببطء رهيب... تاقت الى النوم العميق الذي كان حليفاً مخادعاً لأنها كلما أغمضت عينيها، شاهدت وجه موري وهو يقترب من وجهها، وكأنما تلك اللحظات التي أمضتها معه في تلك الفسحة بين الاشجار قد التصقت بذاكرتها وستعذبها الى الابد.

تقلبت في الفراش، ثم تدثرت جيداً.. ما الذي أصابها بحق الله؟ لقد مرّ بحياتها خلال السنوات الخمس منذ طلاقها رجال كثيرون. وكان بينهم دائماً من تسرّ بتناول العشاء معه، أو بمشاهدة مسرحية برفقته أو بمشاركته نزهة أو سهرة وقد تعانقت مع بعضهم، لكن ليس بالطريقة التي عانقت بها موري.. إن هذا الاحساس والرغبة في أن تذوب بين ذراعيه وتضيع في عناقه، شيء ما حدث لها إلا قليلاً في بداية علاقتها مع زوجها السابق.

دفنت وجهها تحت الغطاء تغمض عينيها.. لقد قصدت هذا المكان لتكتب قصة، لا للتورط والقاعدة الأولى في مهنتها هي أن تكون على مسافة موضوعية بل إنها القاعدة الأولى التي اتخذتها

لنفسها في حياتها الخاصة منذ أن فشل زواجها.

تذكر أنها تجادلت يوماً مع زميل في كلية الاعلام بشأن اضطرار المرء أحياناً الى أن ينسحب لسبب أخلاقي من قصة ما.. يومذاك أقسمت له بمثالية وعناد وثقة بالنفس أنها لن تفعل هذا.

تنهدت وهي تضيء مصباح السرير.. كيف كان لها أن تعرف أنها أقسمت قسماً تضطر الى مخالفته في هذا الليل الهادىء الساطع بالنجوم؟ ليت هناك وسيلة لمغادرة المزرعة دون رؤية موري ثانية، وسيلة تصل بواسطتها نيس ثم تطير بعد ذلك الى باريس حيث تستقل الطائرة الأولى التي تجدها عائدة الى لندن حيث راحة وأمان مكتبها، وآلتها الكاتبة.

مازالت المقالة التي تتحدث عن الدكتور دارسكول ومنظمة النجاح الروحي على طاولتها تنتظر الكتابة. هناك في مكتبها قد تدفن نفسها في العمل، وترمي قصتها عن الدكتور دارسكول أمام مارغو في يومين.

تأوهت أنيتا ورفعت رأسها.. ماذا بحق الله ستقول لمارغو؟ أتقول إنها لم تشاهد طائرة موري لويد تحط في مطار نيس؟ مستحيل... فلو حدث ذلك فعلاً لسارعت الى الاتصال بلندن، أتقول إنها وجدت موري لكنها لم تجد ما تكتبه؟ فليس لديه زوجة مشوهة، أو ضمير معذب. زفرت قليلاً وهزت رأسها. ثمة قصة بالطبع.. هذا ما ستقوله لها مارغو.. لقد وجدت مخبأه.. وأخبرها أشياء عن زواجه وموت زوجته. بل لديها صور له ولمزرعته وبيته..

رمت بالاغطية جانباً ثم انسلت من الفراش المشعث متجاهلة لسعة البرد على بشرتها العارية وراحت تذرع الغرفة، لا بد من اختراع حجة تقولها لمارغو.. لا بد من هذا.. وتباطأت خطواتها

رويداً رويداً حتى اعتلت وجهها ابتسامة رضى. ثمة شيء ما بالطبع. ستقول إنها تبعته حتى سان رافاييل حيث فقدت أثره هناك وأنها أمضت الايام التالية تحاول إيجاده. ليست الحجة مقبولة فقط.. بل هي تضليل رائع. إذا ذكرت مارغو هذا الخبر أمام أي كان أو أرسلت صحافياً للقيام بالمهمة نفسها، فسيقود سيارته الاف الاميال دون هدى وسيكون موري بأمان، ولن يعرف ذاك الشخص أبداً ما كانت تفعل.

ـ أنيتا.. أنيتا! أنت مستيقظة؟

ارتدّت بسرعة الى الوراء تحدق في الباب.. إنه صوت موري خفيضاً في سكون الليل، لكن فيه حزناً وألماً دفيناً أمسكت أنيتا بالغطاء عن السرير وسترت جسدها به. وقالت هامسة تفتح الباب قليلاً:

ـ ما الخطب؟ ماذا حدث؟

مازال يرتدي ثياب العشاء نفسها إلا أن خصلة من شعره تدلت فوق جبينه..

ـ آسف إن أخفتك... اسمعي.. أعلم أن ما سأقوله جنونياً.. لكنك قلت إنك ترعرعت في مزرعة. فتساءلت عما إذا ساعدت مرة في ولادة مهر؟

ـ ولادة ماذا؟ حسناً.. لم يحدث قط، لكنني راقبت أمي وهي تساعد أبي... لا أفهم..

ـ إحدى الافراس تلد قبل أوانها الآن. حين أدركنا ذلك كانت قد دخلت في رحلة المخاض. ظننتها ستلد بعد أسبوعين... قصدتها الى الاسطبل فإذا بي أجدها على وشك الولادة. فتريثت، لكن مرت ساعات حتى الآن. هل فهمت ما أعني؟ أشعر بأنني أتلعثم وأهمهم بكلام سريع غير متزن.

ـ وهل هي في مأزق؟ هل ستخسرها أو تخسر المهر؟

ـ قد أخسرها إذا لم أقم بعمل بسرعة.. لقد ذهب فرنسوا مع الرجال الى الوادي الذي كنا فيه هذا الصباح.. كنت قلقاً من عودة الكوجر. أنا بحاجة لمساعدتك أنيتا.. أريد فحص الفرس، لكنها خائفة.. أترافقينني؟

كان ردها سريعاً لا تردد فيه:

ـ بالطبع.. أمهلني دقائق حتى أستعد.

حين نزلت راكضة الى الاسطبل المشبع برائحة التبن وجدت موري ينتظرها رامياً سترته جانباً رافعاً كمي قميصه. فأمسك بذراعها يستعجلها الى فراش من القش استلقت عليه الفرس، بعيداً عن الجياد. وقال لها بهمس قلق:

ـ إنها فرس صغيرة. لم تلد من قبل. جسدها يهن أكثر فأكثر مع مرور الدقائق لذا أخشى أن نفقدها.

ردت بحزم:

ـ لن نخسرها.. ستكون بخير.

لكن حين شاهدت الفرس تلاشى اطمئنانها، فقد كان عرفها الكستنائي ناضحاً عرقاً، وفمها مزبداً، وتنفسها أجشاً عميقاً متعباً. فهمست لها بصوت هادىء وناعم، تمسح جلدها الكستنائي بيدها:

ـ رويدك يا فتاة.. ستكونين بخير بعد قليل...

صهلت الفرس بصوت خفيض ثم رفعت رأسها، ودست أنفها المبلل في كتف أنيتا التي سألت:

ـ ألديك فكرة عما بها مزري؟

ـ لدي إحساس بأن المهر في غير وضعه الطبيعي، سأتحسسه الآن.. هل لك أن تهدئي روعها أنيتا؟ امسكي برأسها وابعثي الطمأنينة الى قلبها.

أمسكت أنيتا بأذني الفرس الوجلة بلطف تنزل رأسها طلباً لمزيد من الراحة، ثم طفقت تهمس لها كلمات رقيقة وتمشط عرفها المبلل الخشن... وقالت:

ـ أنت على حق موري.. إنها تعاني من المخاض. وإذا لم تلد في وقت قريب، فستصاب بالذعر ولن يعود عندها أحد قادر على الامساك بها.

جذبت الفرس رأسها بين يدي أنيتا وانقلبت على جانبها الآخر وكانت كل حركة من الفرس تؤكد صحة اعتقاد أنيتا. تحرّك موري بسرعة، فاتكأ على خاصرتها يهدئها بينما كافحت أنيتا حتى تتحرر من الجسد الثقيل الذي قبع فوقها.

ـ أنيتا.. هل أصبت بأذى؟ أنيتا؟

أجابت مقطوعة النفس:

ـ أنا بخير.. لقد أفلتت مني، هذا كل شيء.

ـ ثمة لجام معلق هناك، قرب الباب.. هل لك أن تأتيني به؟

أسرعت تتناول اللجام من مكانه، وتقدمت نحو الفرس المرتجفة فتحدثت إليها بصوت خفيض، وبكلمات رقيقة حتى وصلت الى العنق المتصلب.. ثم قالت:

ـ حسناً.. لقد وضعته عليها.. هيا تابع تحسسك للمهر في بطنها.. بامكاني الآن الامساك بها... ما اسمها؟

ضحك بصوت منخفض:

ـ اسمها «حبة الكستناء». لو تمكنت فقط من الامساك بها دقيقة أو اثنتين أنيتا.. لقد كدت انتهي...

همست تضغط رأسها قرب عنق الفرس.

ـ مهلك يا فتاة.. سيكون كل شيء على ما يرام «حبة الكستناء» سنساعدك.

تمتم موري:

ـ هذا ما ظننته. المهر على قفاه.

شدت الفرس اللجام لكن انيتا تعلقت به، وهمست لها مشجعة.

ـ سيكون كل شيء على ما يرام.. أيمكنك تحسس قوائم المهر؟

رد بصوت متوتر من التركيز:

ـ أجل، شكراً لله، أصبحت قوائمه في الاتجاه الصحيح.. إنه لا يحتاج إلا الى القليل من المساعدة.

خلع قفازه الواقي وأسرع الى مؤخرة الاسطبل ليعود بحبل طويل. وبينما كان يضع القفازين ثانية نظر الى أنيتا وهز رأسه مشجعاً.

ـ حسناً.. سأربط قوائمه وأساعده على الخروج... كيف الامور معك؟ أنت بخير؟

هزت رأسها وردت على ابتسامته:

ـ أجل.. أنا بخير.. لكن لا تشد المهر كثيراً لئلا تدفع «كستنائية» الى الخارج.

ـ كستنائية؟ لم أكن أعرف إنها تفضل هذا الاسم.

ـ نحن الاناث نُسِرُّ لبعضنا بعضاً أموراً كثيرة وقد أسرّت إليّ أنها مستعدة الآن الى دفع الوسيم الذي في أحشائها خارجاً.

ـ وهي على حق... امسكي بها أنيتا... تشجعي «كستنائية» وافعلي ما بوسعك!

صهلت الفرس بعد أن هزت جسدها طلقة أخرى تمسكت أنيتا باللجام وأخذ موري يشد الحبل:

ـ حسناً إنه يتحرك.. تحررت حوافره.. استمري هكذا كستنائية.... المزيد المزيد.

تأوهت الفرس ورفعت رأسها ولم تلبث أن رفعت أنيتا رأسها أيضاً لتمسح جبينها بكميها.. فجأة أحست بالفرس تتوتر، فشدت بقدميها على الارض وأحكمت امساك اللجام وقالت:

ـ ستدفع من جديد موري... أحس بالطلق قادماً.

ـ جيد يا كستنائية، قليل من هذا وتستعيدين قوامك النسائي الرشيق.

ضحكت أنيتا:

ـ ما هذا القول المضحك.. إنها تقول لك إن هذا آخر ما تفكر فيه الآن.

نظر إليها من فوق الفرس:

ـ وأنت.. كيف حالك؟ لا بد أن ذراعيك تؤلمانك؟

ردت كاذبة:

ـ أبداً.. اهتم أنت بالام، وانسَ أمري.

ضحك ولمس رأسه بأطراف أصابعه كمن يؤدي التحية:

ـ حاضر سيدتي.. هذا ما سأفعله.

تشنجت عضلات الفرس وأصدرت صوتاً أشبه بأنين الانسانة منه بصهيل فرس.. فسارع موري الى شد الحبل.. فجأة.. انتهى الامر. وصاح موري وأنيتا معاً بجذل، وهما يريان المهر الوليد ينزلق أرضاً على العشب النظيف.

أحنى موري رأسه ثم رفعه مبتسماً:

ـ حسناً كنت مخطئاً في شيء واحد، إنه ليس مهراً، بل مهرة. مهرة جميلة، لقد قمت بعمل رائع يا فتاة.. لماذا لا تأتين الى هنا أنيتا لتسلمي على السيدة الصغيرة؟

دلكت أنيتا عنق الفرس وقبلت جبينها:

ـ فتاة طيبة! سأعود إليك حالاً، أريد القاء نظرة على طفلتك!

دنت من موري ثم تمتمت جذلى:

ـ انظر إليها! إنها محبوبة.

كان موري ينهي تجفيف المهرة المبللة بقماش خشن، عندما رفعت الصغيرة رأسها تحاول بحركات كوميدية الوقوف، وترنحت قليلاً حين هددت قوائمها النحيلة الطويلة بالانهيار. فسارع موري الى توجيه الجسد الطري المترنح نحو أمها، قائلاً:

ـ رحبي بابنتك يا كستنائية.

أحنت الفرس رأسها تصهل بصوت خفيض لتلعق وليدتها، فترنحت الصغيرة الى الخلف ثم الى الامام لحظات.. ثم التفتت الى أمها وبدأت ترضع منها بثقة.. فنظر موري الى أنيتا وهز رأسه:

ـ إن هذا ليذهلني دائماً. شاهدت عشرات الولادات ومازلت أشعر في كل مرة بأنها معجزة.

أمسك بيد أنيتا ليساعدها على الوقوف:

ـ دقائق أخرى أنيتا.. أريد تجفيف الفرس وتنظيف المكان.

راقبته بصمت وهو ينجز عمله.. كان هناك بقع وحل على خده، وقش في كمي قميصه. لكنه بدا لا يعي شيئاً إلا الفرس وابنتها.. وكان يتوقف بين الفينة والاخرى ليربت على عنق الكستنائية، متمتماً لها بحنان. أما أنيتا فأمسكت شوكة تنظيف عن الجدار وبدأت تنظف القش المتسخ، فوضعته في سلال المهملات، ثم وضعت مكانه قشاً نظيفاً جافاً من القش الموضوع قرب الباب. حين انتهت عادت وهي تمسح يديها بمؤخرة الجينز فوجدت موري يتفحص المهرة الصغيرة:

ـ لا تقلقي على الصغيرة. ربما أتت الى الدنيا على مضض لكنها ستكون على ما يرام.

ضحكت أنيتا وأرجعت خصلات شعرها الاشقر الى الوراء:

ـ ألن تكون ممتعضاً لو جئت الى الدنيا مبكراً؟ ستحتاج الى أشهر لتجد رفيق لعب مناسب لها.. انظر إليها، يا لشهيتها.

رفعت الفرس رأسها تحاول بخجل الابتعاد عن وليدتها.. فقال موري:

ـ كل ما أرجوه أن تتعاون معها أمها.

ـ طبعاً ستتعاون، إنها أم، في مطلق الاحوال.

ـ لقد انجبتها نعم، لكن هذا لا يعني أنها ستكون جيدة في تربيتها.. لا بد أنك شاهدت أمهات يرفضن صغارهن في مزرعة أهلك.

ـ أجل.. في بعض الاحيان، لكن، ليس دائماً. لقد قلت لتوك إن الولادة تشبه المعجزة.

أخذ يغسل يديه في مغسلة قريبة وأجاب:

ـ طبعاً.. لكنه الجزء الاسهل في دورة الحياة. إنه عمل صعب، لا شك في هذا، لكن ما يليه هو الاصعب... فوهب الحياة هو البداية، والتربية والتنشئة هو الامتحان الحقيقي... ما بك؟ هل أهنت معتقداتك؟

هزت رأسها واستدارت عنه:

ـ لا أبداً. كنت أفكر في شخص عرفته يوماً، لن يوافقك آراءك أبداً.

ـ إذن.. هو غبي. صدقيني.. قد أقول له أشياء ستغير رأيه... أظننا الآن قادرين على ترك هاتين الاثنتين والعودة للراحة. لا بد أنك مرهقة.

ـ في الواقع أنا مرهقة. مع أن الكستنائية قامت بكل الجهد.

ـ ليس كله.. لقد قمت أنت بعمل رائع.. شكراً على التنظيف لم يكن هناك داع الى ارهاق نفسك.

ـ ما من مشكلة، أحس وكأنني في بيتي.

طافت عيناه عليها وهو يدنو منها، متمتماً:

ـ تبدين وكأنك فعلاً في بيتك، إضافة الى ذلك أنت تبدين جميلة.

ـ بل رهيبة.. إلا إذا كان الشعر الاشعث والثياب المتسخة هي موضة هذه السنة.

ـ أنت جميلة حتى إن كانت لطخة من وحل على وجنتك.

ثم رفع يده ليلمس بأنامله وجنتها. كانت لمسته كالوشم الحارق على بشرتها. فارتجفت لاإرادياً وارتدّت عنه، قائلة:

ـ لو أعدنا النظر لرأيت أن من الاجدى انتظار الفطور.. انظر الى الساعة.. ستشرق الشمس بعد قليل.

ـ سنراقب شروقها عن الشرفة لكنني قبل مراقبتها سأعد بعض القهوة و..

فهمست وهي تسرع لتتجاوزه نحو الباب تخلصاً من إغرائه:

ـ لا.. لا تفعل هذا.

تبعها بحيث سارا معاً.

ـ لماذا تهربين مني أنيتا؟ أبسبب ما حدث بيننا بعد العشاء؟ أتخافينني؟

ـ أخافك؟.. يا إلهي لا.. ليس الامر هكذا.

ـ لماذا لا تكلمينني إذن؟.. أنيتا.. لماذا لا تنظرين إليّ؟

كانا قد وصلا الى الباب، فأمسك بيدها بحيث استطاعت رؤية وجهه بوضوح في أولى بشائر الفجر المتسلل من فوق الجبال.

كانت عيناه زرقاوين صافيتين كبحر يلثم أقدام الشاطىء على جهة الجبل الاخرى، وهما الى ذلك مملوءتان بالاف الاسئلة التي لن تستطيع الاجابة عنها. هزت رأسها بابتسامة معذبة، وعضت على شفتها قائلة بتلعثم:

ـ أنا جد متعبة، ولن أستطيع التحدث الآن.. يجب أن استحم، وأنام قليلاً.. إننا كلينا بحاجة الى الرّاحة.

تسللت يداه عن ذراعيها، وشعرت بهما على عنقها، فأغمضت عينيها، تقاوم الرغبة في ادارة وجهها فوق راحة يده لتطبع شفتاها على بشرته قبلة. أخذت تسترخي أمام مداعباته الرقيقة، لا تدرك ما تفعل، حتى فتحت عينيها فجأة وابتعدت عنه.. هامسة:

ـ لا.. أرجوك. أنا متعبة لا أستطيع فهم شيء أبداً.

ـ أنت على حق.. فهذا ليس بالوقت المناسب.. سأراك صباحاً.

تمتمت بقلق:

ـ أجل.. سأراك صباحاً.

وتنفست بعمق تستجمع قواها ثم بدأت تسير في الردهة نحو غرفتها.

ـ أنيتا...

تباطأت خطواتها عندما سمعت همسته فالتفتت إليه ثم رأته يتقدم خطوة باتجاهها قبل أن يعود الى التوقف:

ـ إن عدم نومي وتفقدي الجياد في الليل ما سببهما إلا أنت لأنني بقيت أفكر في ما حدث معنا في مثل تلك الساعة حتى هجرني النوم. لقد أحسست بمشاعر عاصفة أنيتا.. لكن عناقك أيضاً لم يكن عناق امرأة لا تشعر بشيء تجاه رجل.

همست بالرد كتنهيدة:

ـ لا.. لا.. معك حق. حاولت القول.. أردت القول...
مدت يدها وهو يدنو منها.
ـ لا.. لا تتقدم.. موري.. أنت لا تفهم. ما قلته بشأني وشأنك مستحيلاً.. أنت على حق.
ـ ثمة رجل آخر في حياتك؟ ثمة من ينتظر عودتك؟
ـ لا.. أبداً. ولم يكن هناك أحد منذ سنوات.. منذ طلاقي. أنت لا تعرف أنني كنت متزوجة بل أنت لا تعرف شيئاً عني.
ابتسم وهز رأسه قائلاً بصوت ناعم:
ـ أعرف كل ما أنا بحاجة الى معرفته.. فبعد أن قلت إنه لا أحد في حياتك ما عاد يهمني شيء.
ردت بما يشبه الغضب:
ـ ثمة المزيد مما يجب أن تعرفه، أكثر بكثير من هذا.
كان دفء ابتسامته يقصّر المسافة بينهما، وتمتم:
ـ بالطبع هناك المزيد.. أريد أن أعرف كل شيء عنك.. ما هي الكتب التي تحبينها؟ ما هو لونك المفضل؟ ماذا تحبين أن تفعلي في يوم ممطر؟.. ولماذا تحبين السير تحت المطر؟ ألا تحبين السير تحت المطر؟
أطرقت برأسها مبتسمة وهمست:
ـ وكيف عرفت؟
تسمّرت في مكانها وهو يتقدم إليها هامساً:
ـ الامر بسيط، لأنني أحس بأنني عرفتك طوال حياتي..
ـ موري.. هذا جنون.. لن ننجح...
ـ اذهبي واستريحي... سأراك في الصباح.
أحست بلمسة شفتيه.. ثم فجأة تركها واختفى.

● ● ●

٧ ـ مشاعر من لهب.

استيقظت أنيتا فجأة من نوم مضطرب تقطعه أحلام رأت فيها موري يحتضنها ويقبلها، حتى سلطت عليهما فجأة ملايين المصابيح القوية فإذا هما يقفان وسط مسرح مكشوف ضخم. وإذا وجه موري يغضب ثم يتجهم ويتجهم حتى غاب وابتعد عن ناظريها ليعود ويظهر على شكل صورة ضخمة على غلاف مجلة.. وارتجفت وهي تتعثر خارجة من الفراش.
أحست بثقل عينيها من التعب والدموع التي لم تتركها تنهمر. وراحت ترمي حاجياتها في حقيبتها.. كانت تخطط لهذا منذ ساعات. لكن ما أخرها إلا انتظاره حتى يبتعد عن المنزل. لم يكن سهلاً عليها الرحيل دون توديعه، لكنه الحل الوحيد أمامها. إنها ليست شيئاً مما يظنه بها. فألطف ما تمكنت من وصف نفسها به كان الكذابة المحتالة. إن الرحيل الآن يُعد أصعب ما قامت به في حياتها. لكنه أسهل ألف مرة من تركه فيما بعد.
حين سمعت طرقته الخافتة على بابها في وقت مبكر، احتاجت الى كل ما تملك من قوة لتمنع نفسها من الارتماء في أحضانه. وحين عاد الى بابها ثانية.. ذهلت لأنها استطاعت الرد، مدعية التظاهر بالنعاس، تنادي بأنها متعبة وبحاجة الى بعض النوم قبل الفطور.. لم تترك لنفسها فرصة التنفس القويم إلا بعد أن سمعت

وقع أقدامه يتلاشى. لكن الارهاق جذبها ثانية الى أحضان النوم.

أقفلت الحقيبة، ثم حملتها بسرعة الى خارج الغرفة. ترددت أمام باب المطبخ قليلاً تظهر على وجهها ما أملت أن تكون بسمة سائغة:

ـ بونجور جانيت. كيف حالك هذا الصباح؟

التفتت مدبرة المنزل إليها مبتسمة:

ـ آه.. مدموزيل كوين.. بونجور.. مسيو لويد سيخيب أمله.. لقد انتظرك حتى بضع دقائق ماضية.. ربما مايزال في الخارج.. قد أطلب من فرنسوا اللحاق به.

ـ لا!

اتسعت عينا المرأة عندما سمعت صرخة أنيتا الحادة.

ـ لا.. لا أريد ازعاجه. أرجوك جانيت.. سأراه حين يعود.

ـ بون.. سيعود الى الغداء.. سأعد لكما طعاماً مميزاً. لكن يا لغبائي مدموزيل.. أتحدث عن الغداء وأنت لما تتناولي الفطور.. تركت لك بعض اللحم ساخناً، إلا إذا كنت تفضلين بعض فطائر الامس. فكري في ما تريدين أثناء احتسائك القهوة.

حين هزت أنيتا رأسها نفياً قالت المرأة قلقة:

ـ لا؟ لا تريدين الفطور؟

ـ لا قهوة.. ليس لدي الوقت هذا الصباح جانيت.

ـ لكن مدموزيل.

ـ جانيت.. أتساءل عما إذا كنت تعرفين ما إذا اتصل المسيو بأحد في القرية؟ كان من المفترض أن يدبر أمر عودتي الى نيس اليوم.

بدت الحيرة على جانيت:

ـ لا أظن هذا.. فالمسيو طلب مني تحضير الليموناضة للعشاء

كما تحبينها أنت كما طلب مني إيقاد النار مساء لما.. تسمونه.. «باربكيو».. الشواء... يعتقد أنك ستتمتعين بالامر.

عضت أنيتا على شفتها وتمتمت:

ـ هكذا إذن.. اه.. ماذا عن خطوط الهاتف؟ أمازالت مقطوعة أم أستطيع إجراء مخابرة؟

ـ لا أدري. لكن حتى وإن كانت عاملة فعليك أولاً استخدام جهاز الارسال الذي لا أعرف كيفية استخدامه.. أتعرفين أنت؟

ـ لا.. فأنا لم استخدم مثله من قبل. أخبريني جانيت، أهذه المفاتيح المعلقة هناك هي مفاتيح الشيروكي.

ـ وي.. لكن المسيو لم يذكر لي شيئاً..

ابتسمت متجاهلة وجه جانيت القلق، وقطعت الغرفة لتتناول المفاتيح قائلة:

ـ لا شك في أنه نسي أن يخبرك.

تسربت الكذبة من فمها بسهولة وليدة اليأس:

ـ يجب أن أخرج قليلاً.. لا تقلقي.. سأعود فيما بعد جانيت.

ـ لكن مدموزيل.. الى أين تذهبين؟ ليس هناك مكان إلا طريق العودة الى نيس.

عادت أنيتا الى غرفتها حيث تناولت قلماً وورقة من حقيبتها، كتبت مذكرة الى موري، لا تذكر فيها إلا أنها ستدفع في نيس أجرة من يرد السيارة إليه.. ارتجفت يدها.. فثمة الكثير مما تريد البوح به.

كانت الشيروكي مركونة في المكان الذي وضعها فيه منذ أن أقلّها الى هذا المنزل. شخص ما ملأها وقوداً، ربما من الخزان الذي يمد المولد. اشتغل المحرك بسهولة، فحركت السيارة،

ونظرت في المرآة الى الخلف قبل أن تنطلق بها.. موري ورجاله بعيدون عن النظر. لكنها ترى جانيت وحدها واقفة في الباب، تحدق فيها وعلى وجهها تعبير قلق.

قادت السيارة عبر الطريق الضيقة بأقصى سرعة ممكنة.. لكنها تذكر أن موري كان قد سلك طريقاً أوسع من هذا قليلاً.. فالطريق والغابة تبدوان لها مختلفتين في ضوء النهار.. فرحلتها خلال العتمة، جعلت من المستحيل عليها أن تلاحظ دلائل أو إشارات الطريق.. على كل الاحوال كم عدد الطرقات الممكن وجودها في مثل هذا القفر؟ من المستحيل أن تخطىء.

بعد ساعتين، مسحت أنيتا العرق عن جبينها، واعترفت بأنها فعلاً اتخذت طريقاً خاطئاً، وتسمية هذا الوعر طريقاً لمبالغة كبيرة. فقد حاولت منذ أن ولجت هذه الطريق أن تقنع نفسها بأنها على الخط الصحيح. لكنها وهي قد وصلت الى هذا الممر الملتف بالاشجار أدركت أنها مخطئة كل الخطأ، ماذا تفعل الآن وما من سبيل الى الرجوع حتى. فالطريق ضيق لا يسمح بالالتفاف، فما كان منها أن عاندت نفسها وجعلت السيارة تجتاز الحفر والحجارة، وتدعو لربها أن تكون السيارة مرتفعة لئلا تحطم الصخور شيئاً مهماً فيها... أخذت الطريق منذ بعض الوقت تلتف على نفسها. فربما تعود الى الالتقاء بالطريق التي تعود الى المزرعة.. كبحت أنيتا السيارة متأوهة بإحباط وأطفأت المحرك. فقد سدّت عليها شجرة صنوبر وقعت أرض الطريق.

وماذا الآن؟ لقد سارت ما لا يقل عن عشرة أميال منذ ذلك المنعطف. فتحت الباب لتخرج. المكان هادىء صامت هنا. تطلعت حولها الى الغابة.. حسناً.. ليس في صمتها ما يشير الى الشر، خاصة وأن الوقت مازال مبكراً مما يعني أن أمامها ساعات

تسير فيها خلال النهار.. ليت الطريق أعرض قليلاً لتتخلص من الالتفاف بالسيارة لتعود أدراجها.

عادت الى السيارة متنهدة. فلا شيء أمامها إلا السير في الاتجاه ذاته الذي سلكته منذ مدة أو الرجوع الى الخلف. شقت طريقها رجوعاً عبر الطريق الوعرة الضيقة.. بعد عدة قفزات وضربات علمت كم من الصعب في الواقع رؤية الطريق خلفها.

بعد ربع ساعة، كان عنقها وذراعها يؤلمانها من التركيز على السير الخلفي. ووصلت الى قطعة من الطريق كانت قد لاحظت أنها مبللة من المطر. وقد وجدت صعوبة في عبورها عندما مرّت بها من قبل أما الآن فاستحال عليها اجتيازها رجوعاً. ثم فجأة ارتجفت السيارة وانحرفت بشكل خطير الى جهة اليمين، حيث توقفت في أرضها.

همست أنيتا للسيارة بنعومة وهي تعيد تشغيل المحرك:

ـ هيا يا حبيبتي... بامكانك النجاح.. أنت لا تحتاجين إلا الى مسافة ثابتة على الطريق تحتنا...

دارت الاطارات بقوة شرسة لكن السيارة لم تتحرك بل تمايلت مثقلة في أرضها، وجنحت يميناً.. أخيراً أطفأت المحرك، وضربت يديها على المقود يائسة ثم فتحت الباب وخرجت من السيارة:

ـ لعنة مزدوجة... وماذا الآن؟

قفزت الى الطريق ثم دارت حول السيّارة فإذا كلا الاطارين، الامامي والخلفي، غارقين في الوحل عميقاً.

حط عصفور ملّون ذي ألوان براقة على الطريق أمامها، رافعاً رأسه إليها.. وعندما تأكد من أنها لا تشكل خطراً عليه، التقط دودة من الوحل وابتلعها متلذذاً، ثم طار الى غصن صنوبر فعبست

أنيتا لتباهي الطير أمامها: لا تكن معتداً بنفسك هكذا! فلو كنت قادرة على الطيران مثلك لغنيت.

حسناً.. أمامها خياران.. فإما أن تعود أدراجها على الطريق ذاتها، وإما أن تكمل السير مشياً الى الامام، فلا بد أن الطريق تقود الى مكان ما أقله قد يبعدها عن موري.

وضعت حقيبتها على ظهرها وسارت بثبات الى الامام، تتبع الطريق الملتوية نفسها حتى اختفت الشيروكي عن ناظريها وحين لمحت فسحة بين الاشجار حثت خطاها وقد تصاعد أملها.. ربما هذه بداية الطريق التي اجتازها موري وصولاً الى المزرعة... المتهاكتفاها تحت ثقل الحقيبة، وترنحت خطواتها وهي تقترب من الفسحة لكن الفسحة لم تكن إلا بقعة مقطوعة الاشجار وسط نباتات مرتفعة فيها دلائل تشير الى أنها استخدمت مؤخراً، فثمة معلبات فارغة، وعدة زجاجات مرمية أمام بقايا نار المخيم.. إلا أن هذه الدلائل عن الوجود البشري لم تطمئنها لأنها تذكرت تحذير موري من العصابات التي تلتجىء الى هذه الجبال أحياناً، كما أن الطريق، كما هي عليه، تنتهي هنا.

أشارت النباتات المقطوعة، والعشب المُداس الى وجود طريق قدم ضيقة أمامها. فأخذت تتذكر ما أمكنها تعليمات الكشافة بشأن الاتجاهات حتى اقتنعت بأن هذا الممر قد يقودها في الاتجاه الذي تسعى إليه. كما أن هذه الطريق مستقيمة أكثر من تلك التي اجتازتها راكبة، وبما أن الوقت حتى المغيب طويل فقد قررت الاستكشاف والعودة الى السيارة إذا عدلت عن رأيها في توغل هذا الممر.

كان في البداية اتباع هذا الممر سهلاً، لأنه لم يعترضها إلا أشجار محطمة وبعض الصخور.. أما الصعوبة التي وجدتها فكان سببها الحشرات من الذباب والبعوض التي حامت حول رأسها

ودخلت عينيها وأذنيها أحياناً. لكنها تجاهلت هذا ما استطاعت الى ذلك سبيلاً... كان نمو النباتات خبط عشواء لكنها كانت تختار دائماً ما يبدو لها الممر الاكثر استخداماً... على الاقل، وشكراً للسماء، أن كاحلها لم يكن يؤلمها، مع أنه التوى ثانية فوق جذوع الاشجار البارزة. أبعدت الشعر المبلل عن جبهتها ونظرت الى ساعتها... لكنها عبست، ورفعت يدها فنفضتها ثم وضعت الساعة على أذنها... اللعنة هذه اللعينة تعطلت، وهي تشير الى الثانية والنصف. لكن الله وحده يعلم متى توقفت.

أدركت للمرة الثانية أن الصمت هناك غير طبيعي. فماذا حصل لتغريد العصافير ونداءاتها؟ وأين الذباب الذي حام فوق رأسها. أجتاحها خوف فحاربته.. ستقطع هذا الحاجز الاخير من الشجر المحطم الذي يسد الطريق أمامها، وإذا لم تصل بعده الى طريق آخر... فستعود أدراجها.

قفز قلبها من مكانه عندما وصلت الى شجرة مرمية أرضاً كانت قدأحدثت فجوة في الارض حين وقوعها، وحولها الارض خالية من الزرع رطبة.. عليها آثار أقدام ومخالب، مرتسمة بوضوح. انحنت الى الارض حتى تتلمس الاثر المطبوع..

همست لنفسها:

ـ قد تكون آثار كلب... قد تكون...

لكنها تعلم أن هذا غير صحيح... فمعرفتها بعلم الحيوان تؤكد لها عكس هذا. هذه آثار دب فيها علامات براثن ضخمة.. والدببة السوداء لا تترك مثلها.. اقشعر جسدها. وتحركت عيناها الى شجرة أخرى مرمية أرضاً ومنها صعوداً الى جذعها... إن الدببة السوداء لا تترك آثار مخالبها على أشجار لها هذا الارتفاع. ما من دب صغير الحجم يترك مثل هذه الآثار خلفه.. وحده الدب

الرمادي يتركها، وحده يقف على هذا العلو.

- أوه.. يا إلهي...

انحبست الكلمات الهامسة في حنجرتها، يا لغبائها وحماقتها! هذا فعلاً ممر غابة إلا أن لا أقدام بشرية وطئته.. إنه طريق الدببة، الدببة الرمادية.. وقد استخدمت مؤخراً، والدليل آثار المخالب على الوحل.

ارتدّت أنيتا على عقبيها تولي هاربة من الطريق الذي سلكته تتذكر ما قاله لها أستاذ علم الحيوان مرة، في حديث جانبي، أن من الافضل الصفير أو الغناء في بلاد الدببة الرمادية وأن هذه الحيوانات الضارية لو سمعتك، فستبتعد عن طريقك... وهذه نصيحة معقولة.. لكن حنجرتها وشفتيها جفت ضيقاً وهلعاً. فاهت بأصوات سريعة ثم توقفت، تركز طاقتها على العودة الى الفسحة، ومنها الى السيارة خلفها بأسرع ما يمكن.

وحين وصلت الى مكان تشعبت فيه الطريق وقفت مترددة، ثم اندفعت في طريق آخر مئة متراً أو يزيد، عادت بعده فتوقفت حائرة. أي طريق تسلك؟ بذلت جهدها لئلا يصيبها الذعر، ثم انطلقت حتى وصلت الى آخر الطريق فتراجعت مسندة نفسها الى جذع شجرة يائسة.. وماذا الآن؟ كان كاحلها يؤلمها بصورة متصلة.

حان وقت الاعتراف بأن لا فكرة لديها البتة عن مكان وجودها كيف لها أن تعود الى الشيروكي وقد بقيت تتجول في هذه الوحشة متخبطة ساعات.. بدأت ظلال العصر تتسلل الى الغابة وهذا يعني أن النهار سيتلاشى أسرع مما يحدث في المناطق المكشوفة، حيث يمكن للشمس نشر أشعتها المطمئنة حتى غروبها.

أنزلت الحقيبة عن كتفيها المتألمين منهكة، مهزومة، ثم رمت

نفسها على الارض. لن يبحث عنها أحد قبل الغد، هذا إذا بحث. سيجد موري مذكرتها وينتظر عودة السيارة. وقد لا يتوقع عودتها قبل يوم أو يومين. وأفضل ما قد تفعله، هو أن تأكل بسكويت، ثم تستريح. وفي الصباح، حين تشرق الشمس تبدأ السير من جديد. لا بد من مكان آمن تقضي فيه الليل الوشيك، فانتظار من ينقذها، في وسط طريق الدببة الرمادية، هو منتهى الغباء. فكرت في تسلق شجرة تقضي فيها الليل لكنها وجدت أن أقرب غصن إليها يرتفع عن الارض ما لا يقل عن خمسة أمتار.. تنهدت.. حسناً على الاقل، عليها أن تبتعد عن ممر الدببة.

التقطت على مضض حقيبتها، وراحت تقطع الطريق قفزاً وما هي إلا دقائق حتى وجدت نفسها داخل فسحة ليست بأكبر من غرفة نومها.. لكنها بدت خالية من أي أثر لحيوان.. فخلعت حقيبتها وجلست أرضاً مسندة ظهرها الى صخرة صغيرة. إن هذا المكان على الاقل يؤمن لها نوعاً من حماية نفسية أكثر منها مادية. فتحت الحقيبة وبحثت فيها حتى وجدت لوح البسكويت، فوضعته جانباً وفتشت الحقيبة ثانية. وتنهدت بارتياح حين أخرجت المصباح اليدوي وعلبة ثقاب. أضاءت المصباح وأحست بالراحة.. إلا أن من الغباء هدر طاقة البطاريات ونور النهار مازال مشعاً. لكنها بحاجة الى هذا الضوء طلباً للأمان.

وضعت المصباح فوق الصخرة ووقفت فأحست ببعض الألم في كاحلها. ثمة أعشاب وأخشاب جافة لاشعال نار، جمعت بعضاً منها ووضعتها على منتصف الصخرة حتى أصبح لديها ما يكفي للاشتعال مدة طويلة. ارتجفت يداها بطريقة جعلتها تحتاج الى مزيد من التركيز لتشعل عود ثقاب، بعد عدة محاولات فاشلة سرت النار في الحطب الجاف فارتفعت ألسنة لهب برتقالية، وقد حدث

اشتعالها في الوقت المناسب لأن الظلمة كانت قد عمّت الغابة.

جلست أمام النار وخلعت حذاءها، فأحست بألم كاحلها يخف، كانت النار مستعرّة الآن، فأمسكت المصباح وأطفأته. يا إلهي ما أشدّ هذه الظلمة. الاشجار حولها سوداء تنذر بشرّ سيقع على رأسها. اتكأت على الصخرة طلباً للإحساس بثباتها وصلابتها. وما هي إلا هنيهات حتى طفقت أذناها بالتقاط أصوات الليل في الغابة.. كان هناك فوق طنين الحشرات، وقعاً خفيفاً على الاوراق الجافة.. شدّت السترة حول نفسها تسمع من بعيد صراخ حيوان يتردّد صداه عالياً. أجبرت نفسها على النظر الى النار أمامها محاولة تجاهل الظلال التي بدت لها خلفها، هذه هي شبكة النجاة، حزامها الآمن.. ما من حيوان، أو دب قد يقترب من النار؟.. لكنها في هذه اللحظة تذكرت السيارة والآثار البشرية التي كانت قربها. إن النار لن تبعد ذاك الانسان الذي يخيم هناك... بل قد تجذبه إليها.

ما هذا؟ كل عصب من أعصابها متوتر.. من هناك!.. سمعت الصوت مرة أخرى. ونظرت الى ما وراء النار، نحو الغابة، تحاول الرؤية في العتمة.. شيء ما كان يتحرك بين الاشجار.. إنها واثقة من هذا. علقت أنفاسها في حنجرتها، إلا أنها مدت يدها الى المصباح دون أن تشيح ببصرها فأمسكته بقوة، ثم وقفت على قدميها... كائناً من يكون المتقدم.. فهو كبير وقريب. ارتجفت خوفاً، فارتدت عن النار لتستدير حول الصخرة، وصاحت:

ـ ابق بعيداً.. ارجع.. ابتعد عن هنا.

وتحرك ظل ضخم كبير داخل الفسحة. وما كادت تضيء المصباح حتى كان قد أصبح على مقربة منها. لوحت بجنون بالمصباح الثقيل أمامها، وكأنه هراوة إلا أن يداً أطبقت على

معصمها فوقع المصباح أرضاً.. رفعت يدها الأخرى شاهقة، وبدأت تضرب الدخيل المهاجم. لكن أصابع من فولاذ أطبقت على معصمها الآخر وأوقفتها.. إنه ليس دباً بل قاطع طريق. ترى أيهما أسوأ؟ من هو الذي سيؤذيها أقل؟ أيهما...

ـ أنيتا.. توقفي عن هذا.. أنا موري!

هزت رأسها من جهة الى أخرى تقاوم قوة أعظم من قوتها، تضرب جسدها في صدر لا يلين محاولة التخلص:

ـ أنت آمنة حبيبتي. أتفهمين هذا؟ أنيتا.. أرجوك، اصغي إليّ.

همست وهي لا تكاد تصدق.

ـ موري..؟ موري؟

أرخى قبضته عن معصميها فحررت يداً لتلمس بها وجهه، كانت كأعمى يقرأ كتاباً بطريقة اللمس، فراحت تمرّر أناملها على فكه الثابت وأنفه المستقيم، حتى لمست قماش قميصه الخشن، فتنهدت ووقعت فوقه مرتجفة:

ـ أوه.. موري.. ظننتك.. لا أصدق.. كيف وجدتني؟

أطبقت ذراعاه حولها وجذب جسدها المرتجف الى دفء وأمن جسده.

ـ عندما وجدت السيارة اقتفيت آثارك. يا إلهي.. ظننتني سأفقدك الى الابد. لقد كنت في ممر الدببة الرمادية. حين أفكر بما قد يحدث... ماذا كنت تفعلين بحق الله؟ ما نوع هذه المغامرة؟

همست:

ـ أردت الرحيل قبل أن أسبب لك ألماً.

ـ تسببين لي ألماً؟ عما تتحدثين؟ لقد آلمتني تلك الرسالة كما آلمني مرأى السيارة مهجورة، وعلمي بأنك ضائعة في هذه الغابة..

كان يمكن أن تموتي هنا. . . تباً لك!

أغمضت عينيها والدموع قد طفقت تنهمر على وجنتيها:

ـ لا تغضب. . أرجوك. . أرجوك لا تكرهني!

ـ أكرهك؟ أنت لا تفهمين. . يا إلهي. . كيف لي أن أكرهك؟

أرادت أن تقول له إنه في يوم ما. . حين، أو إذا عرف الحقيقة عنها سيكرهها. لكنها في هذه اللحظة نسيت كل شيء إلا يديه اللتين تضمانها وخفقات قلبه المتسارعة التي تهدهدها.

ـ ليتك لم تجدني. ليتك. .

ـ لا تقولي هذا. أنت لا تعرفين عما تتكلمين.

ـ بل أعرف. أوه. . أعرف. . ولأنني الآن هنا. . بين ذراعيك. . موري. . موري!

أحنى رأسه فالتقيا. حينها عرفت أن كل ما كانت تخشى حدوثه حلَّ بها، لقد تأخرت فما عاد الفرار ينفع ولا الندم أيضاً. فقد ملكت عليها حواسها الرغبة بل ما هو أكثر من الرغبة إنه الحب. . نعم هي التي لم تكن تؤمن بأنها قد تحب ثانية. . وقعت في غرام عاصف لم يحدث أن وقعت في مثله من قبل.

عقدت ذراعيها حول عنقه متأوهة، تذوب بين دفء ذراعيه. ثم راحت بأنامل مرتجفة، لا من خوف أو برد، تمس شعره الاسود الكثيف عند مؤخرة عنقه، متنهدة من ملمس يديه على عنقها. فجأة همس:

ـ انتظري. .

ارتدت عنه تراقبه وهو يخرج مسدساً من حزامه، ويطلق طلقتين في الهواء:

ـ لا أريد للآخرين الاستمرار في التفتيش. . وهذه اشارة اتفقنا عليها، حين نجدك.

ومد يده ليجذبها ثانية إليه. . وتمتم:

ـ والآن. . أجيبيني هل تريدينني؟ ألم تريديني دائماً؟

همست دون أن تحسّ بالخجل:

ـ أجل. . أجل. . أريدك. . لكن. .

ـ لا «لكن» بيننا.

وعلمت أنه على حق. فلا شيء يجب أن تفكر فيه، إلا حبه الذي راح يغزوها. ها قد عاودها ذاك التأرجح الذي أحست به وهي معه في المراعي. رفعت رأسها متنهدة إليه. . فهمس باسمها وهو يحنيها بين ذراعيه، وسمعته يهمس:

ـ ما أجملك! ما أجملك!

فتحت عينيها ونظرت الى وجهه الذي أضاءته ألسنة اللهب، فإذا فيه حدة أخافتها وأثارتها في آن.

أحست وكأن سوطاً أعمى من الحب يلسعها لسعات لم تكن قد خبرت مثلها قط. وحين أحست أنها لن تحتمل نظراته أكثر همست مضرَّجة الوجنتين:

ـ موري. . أرجوك.

مدت يدها إليه فأمسكها ووضعها على فمه. تراقصت ألسنة النار على وجهه وفي عينيه، تعطي وجهه ظلالاً برونزية أعمق من اللون الذي لوحته به الشمس.

وعندما عاد يضمها بين ذراعيه لم تستطع إلا أن تتساءل أيهما أشد حرارة، بشرتها تحت يديه أم النار المستعرة قريباً.

● ● ●

٨ ـ أنت حبي

أخيراً، غفت أنيتا على الارض الصلبة. كانا قد قصدا هذه البقعة بعيداً عن ممر الدببة الرمادية لقضاء الليل قبل الانطلاق في الصباح التالي الى منزله، وقد ارتأى النوم هنا لأنه لا مجال للعودة قبل أن يعم الكون نوره.

في وقت ما من الليل فتحت عينيها وألقت نظرة على موري المستند الى جذع شجرة قريبة منها.

حين اشتد برد الليل كان قد دثّرها بدثار مكوّن من الكنزات وسراويل الجينز التي أخرجها من حقيبتها كما دثّر نفسه بالغطاء نفسه، لكن الكومة التي دثّر نفسه بها وقعت الآن.. وبدا لها وسيماً إذ أن كل مسطح ومنحنى في وجهه يمتزج بكمال مع الآخر. ثم دنت منه وراحت تلمس فمه الصارم بإصبعها فتمتم شيئاً ثم عاد الى سباته.

تلاشى شعورها بالذنب خلال الليل، لكنه الآن عاد متسللاً كالحيوانات الصغيرة المتسللة بلطف حولهما. كيف سترحل بعد الآن؟ لكن المسألة ليست مسألة «رحيل» إنما متى وكيف ترحل.

راحت من جديد تتحسس وجهه بأناملها، ففتح عينيه الناعستين:

ـ أنيتا؟.. صباح الخير.

ردت بلطف:

ـ صباح الخير.. أتود بعض الفطور؟ معي بعض ألواح البسكويت.. خذ واحداً منها، إنها أفضل من لا شيء.

ضحك ومد يده يلمس وجنتها:

ـ إنه وصف غير ملائم لشيء عظيم أنيتا.

ابتعدت عن مداعباته ورمت إحدى ألواح البسكويت له:

ـ موري، لا تفعل هذا، يكاد الصبح ينبلج.

ـ هذا صحيح.. ولن نرغب في أن تضبطنا الدببة فقد لا يوافقون على نومنا هنا على مقربة من ممرهم.

ضحكت:

ـ أنت تعلم أنني لا أعني هذا.

فابتسم وشدها إليه:

ـ لا أظن أن علينا القلق فالدببة لا تعرف قواعد الاخلاق والتصرفات.

ـ لكنها قد تكون حولنا..

تنهد وتركها متمتماً:

ـ حسناً.. استسلم. علينا أن نرحل الآن. فلنوضب الاغراض أولاً.

قبل أن يتركا هذه البقعة ربط كاحلها الذي كان قد سكن ألمه، ثم ساعدها وراحا يقطعان هذه الطريق المعشوشبة الطويلة وصولاً الى السيارة التي كانت بعيدة مسافة ساعة ونصف وربما أكثر. وعندما وصلا أخيراً، ربط موري حبلاً حول شجرة صنوبر ضخمة وحرر السيارة من الوحل التي استطاع بسهولة إخراجها من الطريق الوعر الضيق باتجاه الطريق الرئيسية الموصلة الى المزرعة.

عندما شاهدت أنيتا المنزل من بعيد تنحنحت.

ـ أعتقد.. أنك تتساءل لماذا هربت بهذه الطريقة..

نظر إليها مبتسماً:

ـ سؤال غريب تسألينه الآن.. لو أردت جواباً لسألتك.

ـ أجل.. فكرت في هذا.. فلماذا لم تسألني؟ لقد سرقت سيارتك وقدتها الى ذاك المكان الرهيب، وجعلتك تخوض قلب الغابة ليلاً بحثاً عني ومع ذلك لم تقل كلمة.

ـ لا تبرري عملك أنيتا.. أفهمك.. وأفهم سبب فرارك.

ـ تفهمني؟ ماذا عرفت؟ ومتى؟

أوقف السيارة أمام المنزل، وقال بهدوء:

ـ ليلة ساعدتني على ولادة المهرة.

ـ عرفت ومع ذلك مازلت راغباً فيّ؟ لا أفهمك موري. كيف لك هذا.. ألم تتغير مشاعرك حين عرفت الحقيقة؟

ابتسم:

ـ بل جعلتني أريدك أكثر. لقد عرّفتني أن لابأس في أن أحب ثانية، وفي أن أعترف بمشاعري لنفسي.. فلماذا لا أفهم تلك اليقظة المرتبكة فيك؟

أحسّت لحظات بأن ثقلاً أزيح عن صدرها.

ـ ماذا تعني؟ (همست سائلة).

أسند رأسه الى رأسها واضعاً يده على كتفيها:

ـ ليس الامر معقداً الى هذه الدرجة. لم يكن زواجي ناجحاً لكنه لم يبدأ فاشلاً. أحببت سيلين، وحين بدأت الامور تنهار، أدركت أن ما أحس به تجاهها ما هو إلا شفقة لا حب.. تألمت.. ولطلقتها لولا.. لقد عشت زواجاً سيئاً، وعانيت من صحوة الوهم كما حدث لك.

ـ لكنني لم أخبرك شيئاً عن زواجي، وهذا يعني أنك لا تعرف ما جرى فيه.

ـ بل أعرف.. كان مكتوباً في عينيك، مرتسماً على وجهك حزناً.

تجمعت الدموع في عينيها، فكبحتها:

ـ مازلت لا تفهم... أنا لا أنكر أن زواجي كان رهيباً، مازلت أعاني منه حين أفكر فيه.. لكن لم يكن هو سبب فراري.

ـ كنت مثلي خائفة أنيتا. خائفة من حب انسان آخر ثانية، انسان لا تريدينه وقتاً قصيراً بل..

ـ موري أرجوك... اصغ إليّ.

ـ أعرف أنني أستعجل الامور. أعرف أن كل شيء يجري بسرعة. لكنني لا أستطيع مشاهدة ما وجدته يتسلل مني هارباً. حين حضنتك، عرفت أنك تخشين الحب والعطاء كما أخشاهما تماماً. أنت خائفة من الاستسلام الى حبك، بسبب خوفك مما قد يقود إليه.

طأطأت برأسها وتدفقت الدموع على وجنتيها وقالت ببؤس:

ـ أجل.. كنت على حق إلا أن هذا ليس كل شيء، إنه أكثر تعقيداً مما تظنه.

ـ حين تكونين على استعداد للكلام ستجدينني على أهبة الاستعداد للإصغاء. وأنا أؤكد أنه لا يمكن أن تقولي شيئاً بشأن زوجك السابق قد يكون له معنى عندي لأن أي رجل يتخلى عنك لا بد أنه معتوهاً. على الاقل، لا يمكن أن يكون السبب كالعادة «امرأة أخرى».. لأن ما من أحد قد يرضى بامرأة أخرى بعد أن يعرفك.

ابتسمت على الرغم من دموعها، وتمتمت:

ـ أترى كم قد تكون مخطئاً.. لقد كان هناك «امرأة أخرى»..
أمه.

ضحك وهو يمسح لها دموعها.

ـ سجلي عليّ نقطة هزيمة. فوالداي ماتا حين كنت صغيراً.

راحت تضحك وتبكي في آن معاً:

ـ هذا فظيع.. موري لم يكن ذلك بهذه البساطة... كان يريد أطفالاً.

ـ وأنت ما كنت تريدينهم.

ـ بل أردتهم.

تنفست بعمق استعداداً للبوح بسرّ لم تعترف به قط لأحد من قبل.

ـ أنا لا أستطيع الانجاب، أما السبب فلا أعرفه. أردت تبني طفل، لكنه قال... إنه لن يتمكن من حب طفل رجل آخر. وإن المرأة الحقة هي تلك التي تستطيع وهب الحياة...

انقطع صوتها وأجهشت بالبكاء، فالتفت ذراعي موري حولها حتى كاد يخنقها:

ـ ليتني أرى ذلك الوغد. أرأيت.. كنت على حق. هربت مني لأنك تألمت من قبل.

ـ الحياة ألم كلها موري. لذا لا أضمن أن فيها من لا يتألم.

ـ أنيتا.. أنا لا أطلب وعوداً، ولا أعطيها.. كل ما أعتقده أننا سنكون أغبياء إذا تركنا بعضنا الآن، ليس بعد أن اكتشفنا مشاعرنا. إياك أن تجادلي منطقي هذا.

ـ لكنني لست...

فابتسم مقاطعاً:

ـ لست منطقية؟ حسناً، في هذه الحالة، سأضطر للجوء الى

بعض المكر.. سأخبىء المفاتيح.. ولنرَ.. ماذا هناك غيرها..؟

فابتسمت:

ـ موري.. كن جاداً.

ـ آه.. جهاز الارسال.. قالت جانيت إنك سألتها عنه. انسي نداء الاستغاثة هذا، فحتى تتعلمين استخدامه سيكون الوقت متأخراً.

ـ متأخراً على ماذا؟

أمسكها بقوة ودفن رأسه في عنقها:

ـ متأخراً على منعي من سلب قلبك.

ـ أنت مجنون.

ضحكت وحررت نفسها منه، فقال:

ـ مجنون يكاد يموت جوعاً. سأطلب من جانيت أن تعدَّ اللحم والفطير والبيض والسجق والحلوى.

ـ لن أدعها تراني حتى استحم وأبدّل ملابسي.

ابتعدت عنه تركض متسللة من الباب بسرعة وهدوء فآخر ما تود رؤيته الآن هو وجه جانيت الطافح ثقة. حين دخلت المطبخ بعد ساعة كانت جانيت تبتسم باشراق وفرح:

ـ قال لي مسيو لويد إنك قررت البقاء معنا.. ما أشد سروري مدموزيل.

ـ ميرسي.. جانيت. أهو على الشرفة؟

ـ أوه لا.. آنستي احتسي بعض القهوة بانتظار قدومه لقد قال إنك قد ترغبين في تناول الطعام قبله لأنك دون ريب جائعة.

احمر وجه أنيتا:

ـ لا.. لست جائعة كثيراً. سأنتظره حتى يحضر.

ـ بون.. أرجو ألا تنتظري طويلاً.. لقد أدخل سيناريو فيلمه

الجديد معه الى غرفة النوم.. ينسى أحياناً كل شيء إلا دراسة السيناريو... مع أنني لا أظن أن هذا سيحدث هذه المرة.

ـ سيناريو جديد؟ لم أكن أعلم أنه يحضر لفيلم آخر.

ـ أوه.. وي.. إنه يحضر لفيلم آخر.. لقد جلبه معه حين وصل.. هو ينسى نفسه دائماً في، ماذا نقول، غمرة التحضيرات؟

ـ وهذا ما يجعله ممثلاً رائعاً. إنه يتقمّص الشخصية التي يمثلها.

ـ وي.. لكنه يبالغ، السنة الماضية مثّل دور سجين، فابتعد عن الشمس، وأنقص وزنه حتى يبدو نحيفاً. أتفهمين؟ وهذا ليس بأمر جيد لرجل كبير الحجم مثله.

ـ حسناً، ها هو قد استعاد وزنه، وأعتقد أنه يعتبر أن الدور استحق منه ذاك الجهد.

ابتسمت جانيت:

ـ وي.. أعتقد أنك على حق مدموزيل. إن ما يفعله في بعض الاحيان يكون نحو الافضل.

ـ ألهذا تدرب على قيادة الطائرة؟

ـ لا.. بل تدّرب على القيادة لأنه مضطر للانتقال الى هنا دون أن يعرف أحد الامر. أترين كان لديه صعوبات.

ـ أعلم جانيت.. لقد أخبرني عن زوجته.

ـ أخبرك... وماذا قال؟

ـ إنها لم تكن بخير.. وإنها ماتت في حادثة فظيعة... لماذا جانيت.. ثمة المزيد؟

وقفت المدبرة تبتعد نحو البراد:

ـ لا ريب أن السيد على استعداد لتناول الطعام وأعتقد أن عليّ تحضير اللحم والفطير والبيض والسجق.. وبعض الحلوى.

ـ ما الامر جانيت؟ أقلت ما أزعجك؟

ـ لا.. لا.. طبعاً لا.

راقبتها أنيتا بصمت وحيرة وهي تحضر بعض الطعام.

ـ أتحبين العمل لدى السيد جانيت؟ إن الحياة هنا لموحشة لك.

ـ موحشة؟ لقد ترعرعت في هذه الجبال مدموزيل لذا أنا معتادة على الحياة فيها.

ـ مع ذلك فهذه مزرعة كبيرة.. والمنزل يبقى فارغاً في غياب السيد لويد.

ردت متصلبة:

ـ لا يغيب إلا عند الضرورة.

ـ واثقة أنا من هذا. لكنه منزل كبير بالنسبة لرجل واحد. ألا يزوره أحداً أبداً؟

وضعت جانيت الغطاء فوق المقلاة والتفتت لتواجه أنيتا وقالت متصلبة بعناد:

ـ أعتقد أن المسيو سيجيب عن هذه الاسئلة ربما هو أفضل من أجوبتي. والآن هل تأذنين لي؟.. أريد تحضير الطعام. إن السيد لا شك قادم بعد لحظات.

قالت أنيتا بصوت مرتبك معتذر:

ـ جانيت.. هل أغضبتك؟ آسفة حقاً. كل المسألة أنني أردت.. معرفة المزيد عن موري أعني السيد لويد...

ـ أجل.. أفهم هذا.. لكنني لست في وارد أن أشرح حياته لك.. يجب أن يشرحها بنفسه فهو وحده القادر على هذا.

● ● ●

رفعت أنيتا رأسها عن الكتاب الذي تقرأه وابتسمت لموري الذي انحنى ليقبل جبهتها.. وقالت بسعادة:

ـ لقد عدت. وأنا مسرورة.

أغلقت كتابها واسندت رأسها الى كتفه:

ـ اشتقت إليك.. أربع ساعات ونصف تماماً.. كان يجب أن تصحبني الى المرعى الاعلى.

ـ وأخاطر بأن تؤذي كاحلك ثانية.. قلت لك إنني أريد أن تستريحي حتى تشفي.

ـ وهذا ما فعلته طوال يوم أمس.

ـ دعك من الجدال يا امرأة. فأنا أعرف النساء.. تحتاجين الى وقت لتلميع أظافرك، وتمشيط شعرك، ودهن وجهك.

ضربته بخفة على ذراعه فضحك، وقالت له:

ـ أترى أي دهان أو لمعان على وجهي؟ لا أعتقد أن في العالم مزيناً لن يضحك حين يرى شعري في حالي هذه.

مسح شعرها الكستنائي الفاتح الناعم وابتسم:

ـ بل سيصدم من الحسد.. شاهدت ممثلات يعملن ساعات على تزيين وجوههن ورغم ذلك لا يظهرن فاتنات مثلك.

فهمست له مضرّجة الوجنتين:

ـ جدتي الايرلندية ستحبك جداً، وأعتقدها ستطلب منك زيارة الجزيرة الزمردية لنجاحك بالتملق.

ـ لكن هذا صحيح.. وهل أكذب عليك؟

نظرت إليه باستحياء وقالت:

ـ أرجو ألا تكذب عليّ.

أسندت رأسها الى ذراعه مفكرة.. لا.. لن يكذب عليها مع أنها تحس بأنه يخفي عنها شيئاً. فالحديث المثير الغريب الذي

تبادلته مع جانيت تركها حائرة مضطربة. فلو جرى الحديث في بداية وصولها الى هذا المنزل لأثار فيها مئات التساؤلات الفضولية.. أكان يصطحب نساء الى مزرعته؟ هل اصطحبهن قبل موت زوجته؟ ألهذا فشل زواجه ولهذا اندفعت زوجته الى اليأس؟

أغمضت أنيتا عينيها.. فما عاد لهذه الاسئلة معنى.. فموري ليس ممن يقوم بأفعال كهذه. لقد تحدث عن زوجته بألم وندم.. وهو يحيا هنا حياة لا يمكن وصفها إلا بالتنسك.

سمعته يقول:

ـ أعطيك ما تريدين حتى أعرف أفكارك. أنت صامتة.. أثمة ما يزعجك؟

ـ لا.. حقاً موري.. أنا بخير.. في الواقع كنت أسأل نفسي... هذا السيناريو الذي أعطيتينه لأقرأه يعود الى سنتين مضتا، وأنا أذكر هذا الفيلم.. لقد كنت رائعاً فيه.

ـ حسبتك لا تجدين الوقت لمشاهدة الافلام.

ـ هذا صحيح.. لكن حين سمعت الجميع يقولون إنه عظيم قررت رؤيته. لكني الآن..

ـ بعد أن قرأت القصة، تريدين أن تعرفي كيف أقوم بتمثيل الدور.

ـ لا.. لا.. كل ما عنيته، أنني وجدت كل سيناريوهات أفلامك في المكتبة... لكن أين هو آخر سيناريو لك؟ وعما تدور أحداثه؟

ـ شفتاي مطبقتان. لن أقول شيئاً أنيتا.

ـ لماذا؟ أهو سرّ حكومي؟ هل وقعت على تعهد؟

ابتسم:

ـ مع نفسي فقط، أنا لا أترك أحداً يرى سيناريو أي فيلم جديد

حتى أتأكد من فهمي الشخصية التي سأمثلها. ستعرفين عما يدور بعد بضعة أيام.

ـ ألم تقل إنك تهيء نفسك لتمثيل أي دور جديد بإجراء الابحاث عنه؟

ـ وألم تقولي لي إنك تريدين رؤية مهرتنا الجديدة؟ هل كاحلك بخير؟

ـ إنه بخير.. سأحب القيام بشيء غير القعود تحت أشعة الشمس كمقعدة.

كانت الفرس ومهرتها تمرحان في اسطبل صغير. اتكأت أنيتا على السياج الخشبي الفاصل، تبتسم بسعادة وهي تراقبهما... الكستنائية تغلبت على ترددها الأولي، وأصبحت أماً صبوراً مخلصة. أما الصغيرة فنمت بسرعة. ابتسمت حين تذكرت ليلة ولادة المهرة، والتقارب الذي كان بينها وبين موري.. إنه تقارب ازداد روعة في اليومين الماضيين... لكن.. ماذا سيحدث حين تخبره الحقيقة؟

حرك موري يده الى كتفيها ليديرها نحوه:

ـ اسمعي.. لدي فكرة رائعة. لدي عمل في الغد، كنت سأغيره. لكنني أجده فرصة رائعة لترافقيني حيث يفيدك تغيير المناظر.. وهذا يعني أن تشاهدي الأنوار البراقة والناس والمحلات وشراء ما تريدينه غير هذا الجينز.

ـ لا أفهم.. هل ستذهب الى نيس؟

ـ بل الى مكان أفضل. سأقابل مدير أعمال في مونت كارلو، للتناقش في تفاصيل فيلمي الجديد. كنت سأتركك هنا.. لكنني عدت فوجدت أنك بحاجة الى مثل هذه الرحلة لرفع معنوياتك.

ـ رفع معنوياتي..؟ موري.. لا أحتاج شيئاً إلا..

ـ ما هذا.. أتفضلين قضاء يوم الغد مع جانيت بدلاً مني؟

ابتسمت وأسندت رأسه على صدره.

ـ لا.. بالطبع لا.. كل ما عنيته أنني أقنع بما تقنع به.

ـ اتفقنا إذن.. هل سترافقينني الى مونت كارلو؟

ـ نعم خاصة وأنني لم أرها قط. سمعت الكثير عنها وعن شواطئها وكازينوهاتها...

ـ ولديّ فكرة رائعة، ما رأيك لو نقضي ليلة هناك قبل عودتنا الى هذا المنزل.

أحست بقلبها يتوقف للحظات:

ـ لكن ظننتك لا تحب أماكن كهذه أو ربما قرأت هذا عنك في مقالة ما.

ـ إنها الحقيقة الوحيدة التي نشرت عني. لكن لا تقلقي سنذهب الى مكان فيه بركة سباحة خاصة على سطح مائها زهور.

ـ زهور في بركة؟ يبدو الامر متهتكاً.. لكن جميل.

ـ اتفقنا إذن.. هيا نعود الى المنزل لأتصل بمونت كارلو.

ـ حسناً.. إذا كنت تريد هذا. فلن أجادلك.. لكن لماذا تريد اصطحابي؟ لماذا تخاطر بأن يلتقط مراسل ما صورتك ويكتب عنك؟ موري.. الامر لا يستأهل.

ـ بلى.. لقد راقبتك في اليومين الماضيين.. وأحسست أن عندك نوعاً من القلق. أنيتا أنت شابة جميلة.. لذا ليس من العدل أن تخفي نفسك عن الناس.

اجتاحها الاحساس بالذنب، كما يجتاح الظلام سماء الماء. كانت تعلم أن ما أحس به هو الكآبة التي تحس بها كلما فكرت في الكذبة التي تعيش فيها.

ـ موري.. بالله عليك. أقلت لك شيئاً؟ هل لمحت الى أمر

كهذا؟ أنا معتادة على هذا النمط من الحياة.. فإذا كنت ستقوم بهذا المشروع من أجلي، فالغه.

- بل أقوم به من أجلي أكثر مما هو من أجلك.

رفعت رأسها عن صدره.. وتساءلت.. ما هي الارواح الشيطانية التي تدفع به يا ترى؟ بدت لها هذه الارواح أكثر قوة وتدميراً من أرواحها.. وتنهدت مطأطئة الرأس هامسة:

- كما تريد.. مادمت أعرف أن وجودي معك هو كل ما أحتاج إليه من سعادة فلن آبه أبداً.

- أواثقة مما تشعرين به أنيتا.

- كل الثقة.. لقد أحسست دوماً أنني غير كاملة، وكأن شيئاً ما يبدو ناقصاً في حياتي.

- ألهذا رغبت في انجاب طفل؟

- ربما... أما الآن فما عدت أكترث أبداً وحين أكون معك أجد أن لا مكان لأي انسان آخر في قلبي.

لاحظت أن تعابير وجهه تغيرت، إذ أشرقت بالابتسام.

أغمضت عينيها، بعد أن تحركت يده على عنقها، لتستقر عند النبض الخافق بنعومة في تجويف العنق.. ارتمت ذراعاها حوله، وجذبت نفسها إليه، تشرق بشرىً وسعادة وهي تحس به يستجيب إليها. خلّل أصابعه في خصلات شعرها القريبة من كتفيها، فأرجعت رأسها الى الوراء. هامسة:

- موري.. ماذا لو رأتك جانيت تعانقني؟

- جانيت امرأة طيبة ستجد لنا مبّرراً.

كانت وهي بين ذراعيه تفكر في هذه الاحاسيس التي تحرقها. ماذا تفعل؟ حتام ستكتم عنه الحقيقة؟ قالت لنفسها يجب أن اتصل بالمجلة عبر جهاز الارسال لأخبر مارغو بأنني لم أجد موري لويد

وبأنني سأتخلى عن المهنة... ستقول لها، في الواقع، إنها ستترك عملها، وبذلك حين تسافر الى مونت كارلو في اليوم التالي، تكون قد استقالت من مجلة النخبة.

ضمت موري إليها بلهفة.. عندما ستخبره سيفهم ويسامح... فهذا الرجل، بكل تأكيد، يريدها... ولقد غزا قلبها وروحها.. وهو بالنسبة لها أكثر من حبيب.

إنه حبها كله.

• • •

٩ ـ رحلة خاصة

حامت الطائرة الخاصة فوق مياه خليج مونت كارلو كصقر يحوم فوق عصفور السنونو.. كان نسيم رقيق ناعم يدغدغ الأمواج البيضاء تحت المرتفعات الصخرية. حبست أنيتا أنفاسها عندما دنت الطائرة من مستوى الصخور متجهة الى المطار.. وصاحت فرحة:

ـ ما أجمله!.. إنه أشبه بلوحة مرسومة.

ضحك موري:

ـ أردت أن تشاهدي مونت كارلو من جهة البحر أولاً. أليست رائعة؟..

ـ أوه.. بلى.. بكل تأكيد.. لا أستطيع الانتظار حتى أراها عن كثب.. متى نحط؟

ـ وصلتني أوامر الهبوط للتو من برج المطار.. بضع دقائق فقط.. اربطي حزامك واسترخي في مقعدك. سنتجه الى الاسفل.

كانت المسافة بالسيارة حتى نيس أطول من المسافة بالطائرة الى مونت كارلو. ومع إنها كانت في شوق الى رؤية المدينة، إلا أنها أسفت لانتهاء رحلة الطيران القصيرة. فهي لم تسافر قط في طائرة خاصة صغيرة. كانت في الفضاء تحس بالسعادة والهدوء،

فكل شيء بدا كاملاً.. تقريباً كل شيء.. ليتها اتصلت بمارغو بالامس..

فقد حدث ما توقعته، ذهب موري ليحادث عماله بعد العشاء.. فأسرعت الى غرفة الارسال وقلبها يقفز بين ضلوعها، ثم حرّكت المفاتيح بأصابع مرتجفة، تحث نفسها على تذكر الترتيب الذي اعتمده موري أمامها من قبل وبقيت على محاولتها حتى انطلق الارسال أخيراً الى الحياة، وما إن جاءها الرد على ندائها حتى تنفست الصعداء، فكان أن طلبت بحذر الاتصال بلندن. وانتظرت نافذة الصبر حتى يأتيها الرد من عامل الهاتف:

ـ أسرع أرجوك. (همست قلقة)

ـ نعم.. أنا أحاول مدموزيل.. لكن الامر ليس سهلاً.. أترين. قالت العاملة إن كل الخطوط مشغولة... هل تؤجلين المكالمة حتى المساء؟

في النهاية استسلمت أنيتا، فأطفأت جهاز الانذار، وتسللت من الغرفة.. لكن ضميرها كان أقل عذاباً من ذي قبل. لقد أقالت نفسها من العمل وإن لم تكن هذه الإقالة واقعية.

وسمعته يقول:

ـ سنحط بعد لحظات.

أحست بأن اطارات الطائرة تقبّل أرض المطار.. حين ينشغل موري بالحديث مع مدير أعماله، ستسعى الى أقرب هاتف للاتصال بمارغو وحين تعترف له بعد ذلك سيتفهمها وستكون استقالتها برهاناً على حبها.

عندما دخلا صالة الوصول في المطار أحست بأنها حقيرة المظهر بسروالها الخالي من اللون، وبقميصها الاجعد. ليتها بدّلت ملابسها في مطار نيس بتلك التي اشترتها هناك... فمن حولهما

نساء جميلات في أبهى حلة وأغلى أثواب.. وهمست يائسة:

ـ انظر إليّ... ستكون معجزة لو سمحوا لي بدخول الفندق.

ضحك موري ولف ذراعه على وسطها.

ـ لكنني أظنك رائعة.

ـ إذن أنت الوحيد الذي يظن هذا.. الجميع يحدق فيّ.. لا تهزأ بي موري.. إنهم جميعاً ينظرون إليّ.. أوه.. يا إلهي ما أغباني! إنهم ينظرون إليك! نسيت أنهم سيتعرفون إليك...

ـ تابعي السير فقط، لا تبطئي، وإلا لن نخرج من المطار.

حثت خطاها حتى تلحق خطواته... لم يكن صالون الوصول مكتظاً، وكانت أنيتا واثقة بأن الجميع همس باسمه خاصة بعد أن لاحظت النظرات المصوّبة إليه.. وشد على خصرها مطمئناً.

ـ كدنا نصل يا حبي... يا لغبائي، كان عليّ الاتصال لإجراء ترتيبات أمنية مسبقة.

ووصلا الى باب زجاجي طرقه طرقة واحدة قائلاً:

ـ حسناً.. لقد نجحنا.

نظرت إليهما امرأة ترتدي بزة رسمية وابتسمت لأنها تعرفت إليه.

ـ لحظة من فضلك سيد لويد.

وضغطت على زر فانفتح الباب ثم أغلق وراءهما.

أسندت أنيتا ظهرها الى الباب هامسة:

ـ يا إلهي.. هل الامر هكذا دائماً؟

ضحك وهو يدفع خصلات شعرها الى الوراء.

ـ لا يا حبي.. أحياناً يكون أسوأ من هذا.. مزقوا قميصي مرة، وخدشوا وجهي أخرى. وحدث أن اسودت عيني حين حاولت امرأة عقد ذراعيها حول عنقي...

أضحكته نظرة الرعب التي ظهرت على وجهها:

ـ مقاصد معظم الناس طيبة، إلا أن بعضهم ينجرف في انفعالاته ناسياً أنني بشر.

ـ أشعر وكأننا تجاوزنا محنة.

أمسك بيدها وقادها الى كرسي:

ـ اجلسي هنا واسترخي.. سنضطر الى الجري مدة أخرى. لكنها ستكون أسهل... سأطلب من الشرطة تأمين مخرج خاص، وسيارة تنتظرنا في الخارج... كان على مدير أعمالي هنري.. ملاقاتي هنا. سأسأل عما إذا وصل.

تقدم موري الى آخر الغرفة حيث تحدث الى المرأة التي فتحت لهما الباب وفي هذه الاثناء قدّمت له مضيفة أخرى فنجان قهوة ثم قبلته شاكرة. نظرت أنيتا الى موري.. إنها لم تسعَ قط خلف ممثل لتقصي قصة ما، إذ كانت مواضيع مقالاتها تتعلق بالرسميين، الذين كانت تعتبرهم لعبة مستساغة لوسائل الاعلام.

تقدم موري مبتسماً:

ـ لن يأتي هنري. اتصل منذ نصف ساعة معتذر قائلاً إن زوجته مصابة بنوبة صداع، ولن يتركها.. إلا أنني سأراه عشاءً. ثمة سيارة تنتظرنا في الخارج.. هل لنا أن نخرج، لقد أكدت لي المضيفة أن أحداً لن يلاحظنا حتى نخرج.

كان الخروج الى السيارة سريعاً وبسيطاً.. لكن بوجود حرس يرافقونهما.. أحست بالعجز لأنها لم تعد تسيطر على قدرها وتنهدت بارتياح حين أقفل باب السيارة الضخمة خلفهما.. وبدا أن موري أحس بكآبتها.

ـ سنكون على ما يرام حتى نصل الى الفندق.. سترين.

«هيلتون مونت كارلو» فندق ضخم واسع يقع في مكان بديع

بين الصخور والشاطىء.. استقبلهما المدير ببشاشة، ثم استدعى سيارة صغيرة فأقلتهما الى جناحين منفصلين بعيدين مسافة قصيرة عن مبنى الفندق الرئيسي... كانت الزهور تحيط بجناحها وتخفيه عن العيون، وكان خارج الباب، بركة سباحة خاصة، فيها زهور زهرية اللون تطوف على سطحها الازرق التركوازي.

همست أنيتا وهي تقف أمام البركة تنظر الى الشاطىء الممتد أمامها:

ـ أوه.. ما أجمله إنه كالجنة!

ـ عرفت أنه سيعجبك أنيتا.

عقدت ذراعها على خصره ووضعت رأسها على صدره.

ـ كيف لا يُعجب به المرء؟ أشكرك لأنك أحضرتني الى هذا المكان.

ـ سنتناول الطعام أولاً.. أتودين تناوله في جناحك.. أم تنزلين الى الشاطىء لنأكل هناك؟

ـ غداء على الشاطىء؟

لكنها هزت رأسها وقالت بسرعة متذكرة ما جرى لهما في المطار:

ـ لا.. أفضل الغرفة.

ـ بل تفضلين الشاطىء. هيا ارتدي ثوب السباحة الذي اشتريته في نيس، ولا تقلقي بشأني... فمن يقضي اجازته في مثل هذا المكان، سيتركنا وشأننا دون شك.

ـ هل أنت واثق؟

ـ كل الثقة.. والآن هيا، أم أساعدك.

حملت إحدى العلب الصغيرة ضاحكة ثم ولّت راكضة الى غرفة النوم.

بعد حين، تبين لها أن هذا الفندق مخصص للتعامل مع نخبة الناس.. فالموظفون رائعون، لا يتطفلون. وضيوف الفندق انصرفوا الى حالهم باستثناء زوجين شابين وامرأة متوسطة العمر انزعجت حين رفض موري توقيع الاوتوغراف لها. كان الشاطىء رائعاً، توقعت فيه أن يُقدم الغداء فوق طاولة مرصوفة على الرمال، لكنها ما توقعت تقديمه على حافة بركتين متصلتين بالبحر، ولا توقعت هذه الاطباق المتعددة من لذائذ الاطعمة الارستقراطية.

تنهدت وهزت رأسها عندما سألها موري عما إذا كانت تريد المزيد من الكركند. وقالت متأوهة:

ـ ولا قضمة أخرى... لا تكاد بذلة السباحة تغطيني، وأخشى ألا تتمكن من هذا لو أكلت المزيد.

ـ لا تقلقي بهذا الشأن. هل تحبين أن نستخدم البركة الخاصة في جناحك أو جناحي؟

ـ لا. أفضل هذا المكان.

نظرت حولها فرأت أن معظم الموجودين يحدّقون إليهما. والغريب أنهم لم يحاولوا إشاحة نظرهم عنهما حتى حين التقت عيناها عيونهم.

ـ كيف للناس فعل هذا. إنهم ينظرون إلينا وكأننا معروضات.

نظر موري بدوره الى الخلف.

ـ إنها غلطتي.. كان يجب أن أبتعد عنك قليلاً، لئلا يتحلّق حولنا الجميع. ربما ما كان يجب أن تأتي الى هنا بل كان عليّ أن أعرف أن الامر لن ينجح.

ـ آسفة موري.

ـ على ماذا؟ أنا من أردت اصطحابك الى هذا المكان، ولقد نسيت كيف يكون الامر.. مرّ زمن طويل منذ أن ظهرت فيه

علناً. . حينما ترين في الصحف خبراً يتحدث عن المرأة التي كانت برفقة مورتيمور لويد على شاطىء مونت كارلو فاعرفي أنك هذه المرأة، لكن توقعي أن يغيروا أوصافك بحيث قد تعتقدين أنني هربت منك لأرافق أخرى. . . آسف أنيتا. . لم أقصد أن أفسد الامور. لكنني لا أستطيع إلا أن أفكر. . .

عرفت أنه كان يفكر في زوجته، وفي ما تتركه الشائعات من آثار سلبية. وقفت عامدة تمسك بيده لتجره:

ـ لم نلجأ الى هذا المكان للقعود. قلت إن هناك ما تود أن تريني إياه. . . حسناً. . أنا مستعدة. . . وأنا لا آبه البتة بما قد ينشرونه عني، ولو نشروا الآف القصص. . لأنني أعرفك، وهذا هو المهم.

تراخى التوتر عن وجهه. . وابتسم:

ـ كلام رائع. . أتقصدينه حقاً؟

ـ أقصد كل كلمة فيه. جئنا الى هنا طلباً للمرح لذا لن أسمح لأحد بأن يكدرنا.

ـ في هذه الحالة. . فلنمرح.

بدا موري مصمماً على أن يريها كل شبر من المنطقة. . سارا في سوق مونت كارلو فشاهدا المعروضات الدقيقة الصنع من الفضة والجلد كما شاهدا أشياء يدوية مصنوعة خصيصاً للذكرى. اشترى لها موري خفين جلديين أصرّ على أنهما سيظهرانها كأميرة رومانية. . ثم سارا فوق رمال الشطآن المهجورة البعيدة عن الانظار، يتوقفان بين الحين والآخر بحثاً في الرمال عن أصداف تشبه الحلي كان قد رماها البحر الذي لا يهدأ كما اشترى موري قبعة قش كبيرة ضحكت أنيتا حين اعتمرها، لكنها أظهرته أكثر فأكثر بمظهر السائح.

عند المغيب، توقفا لاحتساء شيء ما في مقهى قريب من البحر. حيث قعدا على شرفة تواجه هذا الامتداد الازرق ثم لم يلبثا أن رفعا كأسيهما بوقار يحييان قرص الشمس القرمزي الحاني الهام بطيئاً في المياه الياقوتية الزرقاء.

انحنت أنيتا فدلكت قدميها وذلك عندما وقف موري استعداداً للرحيل، وقالت:

ـ ألا يمكن أن نجلس هنا مدة أطول؟

ـ أيؤلمك كاحلك؟

ـ لا. . لكن قدماي متعبتان.

ـ إذن لقد آن أوان جولة أخرى.

ـ لماذا؟

ـ لأنه الوقت المناسب للتجول إذ لا ازدحام سير ولا أماكن مكتظة بالبشر الذين هم الآن يستريحون في منازلهم أو فنادقهم، استعداداً لليل القادم.

وكان على حق. فالشوارع خلت تقريباً من الجموع الغفيرة، الناشطة التي كانت محتشدة نهاراً. والليل أضفى سحراً خاصاً على الجو الرائع.

عندما عادا الى الفندق قال لها:

ـ هيّا الآن بدلي ملابسك استعداداً للسمر. لقد وعدت بأن ألتقي المدير في مقهى الفندق. لكنني سأعود إليك حالاً.

ـ لكن ماذا أرتدي؟ بعد أن شاهدت المكان، لا أحسب أن شيئاً مما اشتريته قد يناسب هذا المكان.

ـ أنت تبدين جميلة مهما ارتديت، لكنك ستجدين شيئاً مناسباً ينتظرك في غرفة نومك.

عندما دخلت الى غرفة نومها ابتهجت فقد شاهدت فستاناً

موضوعاً على السرير، فستاناً حريرياً أخضر كانا قد شاهداه في وقت ما خلال جولتهما نهاراً. وأراد شراءه لها، لكنها رفضت لأنه باهظ الثمن. لكن متى اشتراه؟ آه نعم، اشتراه حين حثها على الذهاب الى غرفة القياس.

عندما سمعت رنين الهاتف انتفضت، رفعت السماعة قائلة:

ـ موري..

ـ ما هذه الخفة يا امرأة.. اسمي السيد آدامز هنا.

ـ سمعتهم يذكرون هذا الاسم.. فذكرني أرجوك، أي سيد آدامز أنت؟

ـ أنا السيد آدامز الذي يعرفه الجميع...

ضحكت مقاطعة:

ـ آه.. ذلك السيد آدامز.. كيف حالك سيدي.

ـ منزعج.. هنري تأخر. اتصل بي وقال إنه سيترك فندقه قريباً وهذا يعني أنني سأكون مرتبطاً ساعة أخرى أنيتا.. آسف جداً.

ـ لا تكن سخيفاً. سأحتاج هذه المدة لأهيء نفسي ولأعطي هذا الفستان الرائع حقه. شكراً لك... إنها هدية رائعة.

ـ أنت على الرحب والسعة يا حبي.. لكنك مخطئة، أتعلمين هذا؟ لقد أملت أن يعطيك الفستان حقك لا العكس.. أراك قريباً.

ابتسمت أنيتا وهي تضع السماعة مفكرة. أيمكن لمخابرة بسيطة كهذه أن تسبب لها مثل هذه الحرارة؟

نهضت عن السرير ثم حدّقت الى الهاتف.. لقد نسيت أمر مكالمة مارغو وهذا أنسب وقت لتخابرها، لكن كيف تتصل من الجناح، سيفتضح أمرها حين يدفع موري الفاتورة، لكنها تستطيع تغيير جهة دفع الفاتورة وتقييدها على لندن... لكن لا، فلو فعلت

لعرفت مارغو أنها في مونت كارلو... ثم موري سيتأخر ساعة تقريباً.. وهذا وقت يكفي.

تناولت مفاتيح الغرفة ثم خرجت من الباب... أين شاهدت هاتفاً في هذا الفندق؟ ثمة أجهزة في الردهة، وأخرى قرب برك السباحة.. كانت مقطوعة الانفاس حين وصلت السماعات، داعية بالبركة والتوفيق لمن اخترع بطاقات اعتماد خاصة بالهاتف. وأخذت تقلب البطاقة بانتظار وصول المخابرة. أخيراً سمعت صوت مارغو.

همست بسرعة تنظر من فوق كتفيها بحذر:

ـ أنا أنيتا.. اسمعي مارغو.. آسفة لإزعاجك في منزلك. لكن...

ـ أنيتا؟ أين أنت بالله عليك؟ بدأت أقلق.

ـ اصغي مارغو.. يجب أن أقول شيئاً.

ـ أرجو هذا يا عزيزتي، ماذا تفعلين، هل وجدت حبيباً؟

ـ مارغو.. أرجوك...

ـ أريد معرفة كل شيء.. أين هو؟ هل التقطت صوراً له؟ ألم يفتضح سرك بعد؟ متى ستعودين...

ـ مارغو.. أنا أقدّم استقالتي من عملي... آسفة للتخلي عنك هكذا.. لكن...

ـ أنت ماذا ؟ أنيتا، ماذا أصابك؟

ـ لا شيء.. فأنا لم أجد مورتيمور لويد... وكل ما أعرفه إنه يعيش في المريخ.. أقدّم لك استقالتي مارغو.

ـ أجننتِ؟ اسمعي أنيتا.

ـ وداعاً مارغو.. آسفة.

ووضعت السماعة، ثم مسحت يدها العرقة بتنورتها. ها قد

انتهى الامر... وعادت الى الجناح. لقد تحررت أخيراً.. فتحت باب الجناح بهدوء، ثم تنفست الصعداء وقد رأته خالياً.. أسرعت الى الحمام، وقلبها خفيق أكثر مما كان خلال أيام طوال.

خرجت بعد دقائق تدندن نغمات غير مركزة، وتجفف جسدها من الماء ثم راحت ترقص والمنشفة أثناء دخولها الى غرفة النوم.

التصق الفستان بقدها النحيل، وانتشر بنعومة فوق وركيها فبدت فيه خلاّبة وهي ترقص وتدور.

ـ أنا مثل سندريلا.. هذا ما أنا.. أنا سندريلا...

توقفت أغنيتها المرتجلة فجأة حين دخلت غرفة الجلوس. فقد كان موري على الاريكة يضحك، فقالت مقطوعة الانفاس:

ـ لم أعلم أنك عدت.... ما كنت لأغني لو عرفت... إن صوتي لفظيع.. لكنني أحب الغناء.. لماذا تنظر إليّ هكذا؟ ألا يناسبني الفستان؟ أهو ضيّق؟ موري.. بالله عليك.

ـ إنه مذهل.. ثمة أشياء لا تعرفينها عن شخص آخر حتى تشاركيه المنزل... فعلاً لم أكن أعرف شيئاً عن موهبتك الصوتية... ولو مارست هوايتك في الغابة تلك الليلة لما تجرأ دب على الاقتراب.

طأطأ رأسه بسرعة متجنباً الوسادة التي طارت عن المقعد باتجاه رأسه.. وضحك وهو يقف على قدميه:

ـ ألا يمكنك تحمل الاطراء؟

قطعت الغرفة تجري خلفه محاولة إبقاء نظرة متجهمة على وجهها.. لكن هذا ما كان مستحيلاً. إذ توقفت على بعد خطوة منه، مبتسمة:

ـ توقف عن دور الناقد الموسيقي، واخبرني.. هل أبدو رائعة للظهور في كازينو مونت كارلو.

ـ إنك رائعة الى درجة تجعلني لا أرغب أن يشاركني النظر إليك أحد.

أطبقت ذراعاه حولها فابتسمت:

ـ أخبرني المزيد.. أحب الاطراء.

ـ أهذا كل ما يسعدك؟

ـ نعم هو هذا.

ـ مسرور أنا إذن، فأنا أحب أن تكون المرأة سهلة الارضاء.. أمهليني خمس دقائق لأستحم وأغير ثيابي ثم أعود الى جناحك هذا.

ابتسمت وهي تراقبه يدخل غرفة النوم.. إنها الآن مستعدة لتقبل الدنيا كلها. وتنهدت بارتياح.

ارتباطها بمجلة النخبة أصبح أمراً من الماضي. موري لويد.. والحب الذي تشعر به.. هما المستقبل.

● ● ●

١٠ ـ الحلم الكابوس

اقتربت الشيروكي من مزرعة السماء مترنحة، فتحركت أنيتا نعسى رافعة رأسها عن كتف موري، متثائبة بكسل فسألها:

ـ أنمت قليلاً؟

هزت رأسها ومررت أصابعها في شعرها:

ـ لا.. لم أنم حقاً. إنك تعب دون شك. تبدو متوتراً.. كان يجب أن تسمح لي بالقيادة بعض الوقت.

ـ أنا بخير.. كنت أفكر قليلاً.. هذا كل ما في الامر.

ـ وأنا كذلك. مازلت أفكر في مونت كارلو التي تبدو بعيدة ملايين الكيلومترات عن هنا.

ـ أجل.. هذا صحيح.. فالوقت يمضي سريعاً.

ـ لكنني لن أنسى كم كان وقتنا رائعاً... ولن أنسى أيضاً ما فعلته في ذلك المربع الليلي حين اقنعت الشخصين الفظيعين اللذين كانا هناك أنك ربحت الرحلة المجانية الى مونت كارلو في مسابقة الشبه مع الممثل مورتيمور لويد. لقد كدت أصدقك! كيف حافظت على صرامة وجهك؟

ـ إنهما يستحقان.. ما كنت لأمانع لو طلبا توقيعي، لكن عندما جرّا كرسيهما الى طاولتنا وطفقا يخبرانني عن ابنتهما التي لا أدري ما اسمها، وعن براعتها في التمثيل في المدرسة، علمت أننا لن نتخلص منهما إلا إذا فكرت في شيء.. ولقد نجحت في الامر؟

ـ نجحت..؟ حين تركناهما، سمعتها تقول لزوجها إنك مضجر. لقد صدقا كل ما قلته.

ـ ولمَ لا؟ أنسيت أنني ممثل؟

ـ كانت أمسية رائعة كحلم بديع.

بدأت الاشجار تخف باقتراب الشيروكي من المنزل وما إن ظهرت المزرعة أمامهما حتى قال:

ـ وهذا هو الواقع.. وانتهت كل الاحلام.

كان في صوته نبرة أقلقتها.. ثمة ما يزعجه.. فقد غرقت في أفكارها مرحبة بالصمت الذي عمّ جوَّ السيارة. أما الآن فأحست بالذنب لأنها لم تهتم أو تنتبه الى تقوقعه. قالت له بهدوء:

ـ موري؟ ثمة ما يزعجك؟

توقف في الفسحة أمام المنزل وأوقف المحرك.. فران صمت دافىء حولهما... ثم قال:

ـ كنت سأتريث بعد. فلا أحسب هذا الوقت مناسباً لأبوح لك...

ـ لتبوح لي بماذا؟ إنك تجعل الامر يبدو غامضاً.

ـ ليت هناك طريقة أسهل من هذه.. لم أكن أعتقد أن الامور ستتعقد.

اجتاحتها همسة برودة، اقشعر لها جسدها. لكنها مع ذلك تمكنت من رسم ابتسامة:

ـ لن يكون الامر رهيباً كما تصوره.

انتزع المفاتيح من السيارة، ونظر إليها قائلاً:

ـ هذا يعتمد على وجهة نظرك.

تنحنحت بعد أن طال الصمت:

ـ تجعل الامر يبدو حاسماً.

ـ إنه أمر حاسم.. سيغير كل شيء.

صرير الباب الذي انفتح جعلهما يرفعان رأسيهما فشاهدا مديرة المنزل تهرع نحوهما منادية:

ـ مسيو لويد.. مسيو.. آه.. أنا سعيدة لوصولكما. فرنسوا يرغب في رؤيتك فوراً... يريد أن يتحدث إليك.

رد وهو يخرج من السيارة:

ـ جانيت.. أنا مشغول جداً.. سأدخل بعد قليل.

ردت جانيت بحزم:

ـ يجب أن تأتي حالاً مسيو.. يقول رئيس العمال إن الامر مستعجل وملحّ لا يؤجل.

هز موري كتفيه ووضع الحقيبة من يده.

ـ أين هو جانيت؟ في الاسطبل؟

ـ لا شأن للجياد بهذا مسيو.. إنه ينتظرك في المكتبة.

ـ انتظريني على الشرفة أنيتا.. سأسرع ما قدرت. أريد إنهاء هذا الامر الطارىء أولاً.

كانت شمس الظهيرة عالية فوق الرؤوس، لكن ريحاً باردة بدأت تهب، فارتجفت أنيتا وعقدت ذراعيها حول جسمها. بدت لها جانيت منزعجة جداً وقلقة. أما هي فكانت تفكر في السائحين اللذين التقطا لهما صورة في ذلك المطعم المرتفع فوق صخور الميناء. ترى هل وصلت الصورة الى الصحف.. لو شاهدها أحد.. هزت رأسها وعضت شفتها محذرة نفسها، لا تكوني مجنونة، لن يتعرف إليك إلا رئيسة التحرير. حسناً.. مهما يكن الخطب في المزرعة.. فهو دون شك بعيد عنها.

لكن لتصرف موري الغريب شأن. ماذا قال لها منذ دقائق؟ لديه ما يبوح به، أمر حاسم هام قد يغير كل شيء... بدا لها هذا نذير شر مخيف..

انفتح باب الشرفة ثم انغلق.. شهقت أنيتا والتفتت الى موري

الذي استند الى الباب. ضحكت بعصبية:

ـ لقد أرعبتني. ماذا أراد فرنسوا؟ شعرت وكأن جانيت تخبرك بنهاية العالم.

ـ لم يكن الخبر مأساوياً الى هذه الدرجة، فما هو إلا رسالة تلقاها عبر جهاز اللاسلكي أثناء غيابي.

ـ أهي أخبار سيئة؟

ـ ليس بالنسبة لي... وأخشى أنني مضطر للإسراع أنيتا. كانت الرسالة من وكيل أعمالي... لقد قدموا موعد تصوير الفيلم الجديد، ويريدونني أن أكون في موقع التصوير في كندا في نهاية الاسبوع.

همست بذهول:

ـ وماذا بعد؟

ـ أشعر بأنني مدين لك باعتذار.. كان عليّ أن اقترح عليك السفر مباشرة من مونت كارلو الى لندن... فالرحيل سيكون أسهل عليك من هناك.

ـ رحيلي؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة:

ـ ربما لم أنجح في الشرح. إنني مضطر للسفر الى كندا بعد غد، وهذا لا يعطيك الوقت الكافي لتوضيب حقائبك وترك المزرعة الى نيس.. ألم أوضح ما أريد قوله؟ لدي أعمال كثيرة قبل أن أترك المزرعة... أخشى أن نكون مضطرين لانهاء هذه العلاقة الصغيرة.

مدت يديها فأمسكت بحاجز الشرفة الخشبي وكأنه الشيء الوحيد الصلب الباقي في العالم.

ـ علاقتنا ال...

لم تستطع التفوه بالكلمة وشاهدته يهز كتفيه معتذراً.

ـ تمتعت بها بالطبع.. وكنت آمل أن تستمر بضعة أيام أخرى...

ـ أتقول.. أتخبرني.. أن ما كان بيننا... أننا ما كنا إلا.. إلا.. لا أصدقك. أنت تكذب...

تنهد وابتعد عن الحاجز.

ـ توقعت ردة فعلك هذه. لهذا اخترت أن أقدم لك الحقيقة ببطء. حين كنا في مونت كارلو فكرت، في أنه مايزال أمامنا بضعة أيام... فلماذا أنهي علاقة سعيدة قبل الأوان المناسب؟ لكنني أثناء رحلة العودة عدت ففكرت في أشياء قلتها لي.. بدا لي أننا تمادينا قليلاً... ولا أريدك أن تظني أنني دفعتك الى شيء أنيتا.

كانت كلماته ترن في أذنيها متعالياً صداها وكانت الاصوات المنفصلة والمقاطع الصوتية مفهومة لكنها رفضت أن تجتمع لتفهم الرجل الواقف أمامها. موريتمور لويد، رجل غريب. لقد تبدل الى رجل لا تعرفه... سحبت نفساً عميقاً ثم دست يديها المرتجفتين في جيبيها. وقالت بهدوء:

ـ أفهمني هذا.. أتقول إن علاقتنا ما كانت بالنسبة لك إلا عبث؟

ـ أوه.. لم تكن دون معنى أنيتا... لقد ساعدتني بشكل لا يصدق. فهذا الفيلم الذي سأمثله صعب جداً... إن شخصية البطل تنبع من داخله.. إنه ليس رجل أعمال ظاهرياً بقدر ما هو باطنياً... البطل سياسي يحاول العودة الى التألق بعد هزيمة مُني بها من جرّاء زواج فاشل. والقصة تتحدث أيضاً عن الألم الذي شعر به بسبب الصحافة وعن المرأة التي التقاها. كدت أتخلى عن الدور لأنه واجهتني صعوبة في معرفة تأثير العلاقة الغرامية على حياة الانسان.

فهمست:

ـ وحين وصلت.

هز رأسه موافقاً:

ـ لم اخطط لهذا بدقة. لكنك امرأة جذابة أنيتا... والمكان رومانسي.. أخشى أنني واجهت صعوبة دوماً في فصل ذاتي عن الشخصية التي سأمثلها. وهذا ما كنت على وشك قوله لك حين قاطعتنا جانيت. أعرف أنك ستتكدرين، لكنها ما كانت إلا فترة نقاهة لنا كلينا.

أحست بأنهما محجوزان في دائرة صفراء كهرمائية، مخلوقان من حقبتين زمنيتين مختلفتين علقا معاً في جمود زمني، في حين أن كل ما حولهما في الدنيا يتابع دورته الطبيعية. كانت تحس بدمها يسري بطيئاً في عروقها... وتمتمت بوهن:

ـ لا أصدقك موري... فأنا أعرف مشاعري وأعرف ما كنا نحس به. لماذا تقول هذه الاشياء لي؟ هل.. أخبرك فرنسوا شيئاً عني؟

ـ ما هذه الافكار أنيتا.. ما الذي قد يعرفه هو ولا أعرفه أنا؟

ـ يا إلهي.. لا أصدق هذا، لا أصدق أن أحداً قد يكون بارعاً في التمثيل الى هذا الحد.

رد ببرود:

ـ بلى، أنا. إنه أكثر ما أحسنه، وما أقوم به دائماً. عندما قدمت نفسي على أنني راعي بقر صدقني من يعمل معي. وحين تعلمت التزلج على الثلج قمت بجولة تزلج بضعة أسابيع، حتى حسبني بعض أبطال التزلج بطلاً منهم.. لا ينجح الممثل إذا لم يتقمص دوره كل التقمص.

نظر إليها قليلاً ثم استدار متابعاً:

ـ طلبت من أحد عمالي إيصالك الى نيس.. فأنا لم أعتقد أنك ستبقين هنا الليلة. لكن إذا رغبت فسأكون سعيداً بتسليتك. وقد نقوم بحفلة وداعية...

جف الدم في وجهها عندما اقترب منها، وقالت تهمس بصوت أجش:

ـ ابتعد عني.. أي نوع من الحيوانات أنت مورتيمور لويد؟

تقدمت منه بغضب خطوة:

ـ قد ألعب أنا أيضاً اللعبة ذاتها إذ أستطيع استغلالك كما استغليتني. أستطيع أخبار معجبوك أي نوع من الانذال أنت!

استقرت عيناه على وجهها وتقدم منها خطوة سائلاً ببرود:

ـ وكيف ستفعلين ذلك أنيتا؟ يهمني أن أعرف.

همس صوت خافت في داخلها: اخبريه.. قولي له من أنت... قولي له إنك خدعته طوال الوقت وإنك بارعة في التمثيل مثله تماماً.. اخبريه وانقذي على الاقل كرامتك من هذا الكابوس.

وتمتم:

ـ أنا بانتظارك أنيتا.. كيف ستلعبين اللعبة بالضبط؟

نظرت الى وجهه المتوتر الابيض شحوباً.. كان يقف غير بعيد عنها، محدودب الكتفين. فارتجفت إنه قادر على أي شيء... رجل كهذا، قادر على زج امرأة في مثل هذا الجحيم، قد يرتكب أي شيء.. فليست الشائعات وحدها التي دفعت زوجته الى الانتحار.. بل هو نفسه، والله وحده يعرف ما جرى بينهما، عندما كانا هناك في ذاك المكان المنفرد، حيث لا وجود لمن يمنعه. عصرت يد خوف جليدية قلبها، فارتدت عنه دون أن ترد.. قال بصوت منخفض:

ـ أشيعي ما تريدينه. لكن لا تغفلي ذكر مشاركتك في لعبة الحب. فلو غفلت عن ذكر نفسك لأسعينّ الى مؤتمر صحفي لن ينساه أحد أفصّل فيه كل حركة وكل كلمة صدرت منك...

التقت عيونهما لحظات ثم تشابكتا، وسط خفقات قلبها المتسارعة التي لم تهدأ حتى أحنت رأسها وارتدّت عنه هامسة:

ـ ما من كلمة قد تعبّر عن مدى احتقاري لك... ليت هناك من كلمة.

وسمعت وقع أقدامه وهو يبتعد باتجاه المنزل. وقال:

ـ السيارة بانتظارك أمام المنزل أنيتا... غادري متى شئت.

عندما أقفل الباب الزجاجي خلفه، سارعت الى مسح الدموع عن وجنتها ثم تريثت حتى تيقنت من ابتعاده عن الردهة وسارعت الى المنزل بلهفة حتى تجمع ثيابها وتوضبها في الحقيبة. تناولت بسرعة سراويل الجينز ثم رمت صناديق الثياب الجديدة على الارض، ودست ما تبقى من ثيابها القديمة في حقيبتها وأقفلتها، جالت عيناها بنظرة أخيرة على الغرفة حتى تتأكد من خلوها من أي أثر لها، ثم وضعت الحقيبة على ظهرها وخرجت.

ـ... كيف تحضر أليكس الى هنا مسيو، وأنت ستغادر قريباً.

كان صوت جانيت يرتفع من المطبخ غاضباً.. فترددت أنيتا وقد لفت اهتمامها التوتر في صوت المرأة.. وسمعت موري يرد:

ـ اللعنة جانيت! أنا لا أسألك رأيك.. لقد اتصلت بأليكس.. وكل ما أريده أن تهيئي كل شيء.

تعالت قرقعة الصحون وأدوات المطبخ، ثم صوت مديرة المنزل:

ـ سأجهّز الغرفة مسيو.

ـ ليس من الضروري جانيت.. أنا وأليكس سننام معاً. فهمتِ؟

التصقت أنيتا بالجدار.. وأحست بالاحمرار يغزو وجهها، وطعم المرارة في فمها... وردت المرأة متصلبة:

ـ وي.. وي مسيو. أفهمك.. لكنك مخطىء. أنت بحاجة للراحة. فأنت مسافر بعد أيام.

ارتجفت أنيتا باشمئزاز وهي تسمع ضحكة موري:

ـ أنت لست أمي جانيت.. لا أريد الراحة.. أريد أن أكون مع

أليكس.. لقد تخليت عن اسبوع كامل وأريد تعويضاً.

ـ أنا لست مدبرة حياتك مسيو.. بل منزلك فقط.. فإذا كنت تريد.. كيف أقول.. الاستمرار في هذا النمط من وجودك، فهذا شأنك. كل ما أقوله لك، إن ما تفعله غير صائب.

ـ أقدر لك اهتمامك جانيت.. لكنها حياتي.

عادت قرقعة الاطباق من جديد.

ـ لكن هذا لا يعني أنها حياة لائقة مسيو.. حاولت اقناعك منذ سنوات.. حتى قبل وفاة زوجتك...

وضعت أنيتا يدها على فمها وأسرعت نحو المدخل.. أحست بأنها متسخة.. مغبرة.. وإذا لم تتنشق الهواء النظيف.. فلن تحس بأنها نظيفة مرة أخرى.

● ● ●

١١ ـ السيدة لويد

ضاقت عينا مارغو هاردسي بريبة وهي تنظر الى أنيتا.

ـ أنت حقاً صعبة المراس، أتعرفين هذا. أولاً تصلني منك تلك المكالمة المجنونة، ثم تحضرين الى مكتبي بعد بضعة أيام لتقولي إن تلك المكالمة ما كانت إلا غلطة، ثم لم تلبثي أن قلت لي إن قصة مورتيمور لويد ستكون على مكتبي في الغد. ولا يفترض بي أن أطرح سؤالاً؟ لو كنت مكاني.. أتوافقين على هذا؟

ـ طبعاً.. إذا كانت الطريقة الوحيدة للحصول على قصة العام.. قلت لك مارغو، أنا لم أكتشف مخبأ الرجل فقط، بل عشت فيه... وما من أحد غيري قد يستطيع كتابة القصة... فلا صور لديّ ولا ملاحظات.

ـ مازلت لا أفهم. هل عبث أحدهم بأغراضك قبل مغادرتك منزله؟

ـ لا بد أن أحداً فعل هذا. وربما يكون هذا الشخص مدبرة المنزل. قلت لك إنها حاولت تحذيري منه.. لكنها مخلصة له.

ـ ولست قلقة بشأن تهديده بفضح ما دار بينكما؟ ماذا جرى بالضبط يا عزيزتي؟ أهو نوع من الفضيحة؟

ـ إنه تهديد فارغ... فهو لن يواجه الصحافة فاضحاً أسراره على الملأ. أضيفي الى هذا أنني لن أكتب شيئاً عن علاقتنا. كل ما

سيطالع القرّاء وصف عن منزله وحياته، وطريقته القاسية في معاملة الناس.

ـ حسناً.. هيا.. لكن قبل ذلك أريد شيئاً واحداً.. ارسمي لي خريطة أولاً.. أيمكنك هذا؟ سأتصل بمصور خاص في الريفيرا وسنرى إذا كان يستطيع تصوير مزرعته.

ترددت أنيتا قليلاً وهي تسير الى الباب، وقالت ببطء:

ـ قد يقتضي هذا وقتاً. سأفكر فيه ملياً لأن الطريق متشعب كثيراً.

ـ حسناً.. حاولي أن ترسميه الليلة.

هزت رأسها وهي تخرج.. لماذا كذبت؟ لا يصعب ارشاد أحد الى المزرعة، خاصة وأنها بذلك تكون قد انتقمت منه. فالرجل فاسد حتى العظم... لقد استغلها بقسوة... فلماذا ترغب فجأة في حمايته؟ لكن لا يمكنها أبداً مقارنة موري لويد الذي وقعت في حبه بالرجل الذي صرفها من حياته بخشونة.. لا تستطيع تصور أنها أحبت شخصية من شخصيات فيلمه التالي، لا شخصه هو.

دفعت الورق الى الآلة الكاتبة. ثمة طريقة واحدة لجمع الشخصيتين معاً، لإخراس الشفقة الرومانسية المضللة في داخلها. جلست على كرسيها وبدأت بطبع المقال.

فتحت مارغو باب مكتب أنيتا وقالت بصوت ضاحك كله إثارة:

ـ أنيتا؟ هل أنت مشغولة؟ سأقول لك شيئاً يسرك. لقد تحدثت مع سوزي، موظفة الهاتف التي قالت إن مورتيمور لويد كان يعرف من أنت حين طردك من مزرعته عزيزتي... كان لويد يعرف أنك مراسلة لمجلة «النخبة»!

ـ ماذا؟ عمَّ تتحدثين؟

ـ كان يعلم.. لهذا سرق صورك وملاحظاتك.. سوزي لم تكن تعرف نوعية المهمة التي تقومين بها، ويبدو أنه اتصل بنا أحدهم عند

الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم.. بدا حائراً حين ردت سوزي: مجلة النخبة.. هل من مساعدة؟ ثم سألها إذا كانت تعرفك؟

شهقت:

ـ ماذا فعل؟

ـ أليس الامر رائعاً؟ بارك الله روح سوزي البريئة، قالت له إنك غير موجودة.. كانت معجزة لأنه لم يقم إلا بطردك.

وضحكت ثم خرجت أما أنيتا فجلست وقد شلها الرعب. لقد اتصل بالمجلة في الساعة الخامسة.. كانت عندئذ تنتظره وهي تحس بالبرد على الشرفة.. حين واجهها بذاك الكلام الفظيع، كان يعرف كل شيء عنها! فهمت الآن هذه الأحجية. ابتعدت عن الطاولة ثم دفنت وجهها بين يديها... لا ريب في أنه تألم ألماً شديداً وجُرح جرحاً عميقاً. ألهذا لم تتمكن من دمج الشخصية الأولى بالأخرى القاسية؟ أمن الممكن.. أنه قد أحبها... وأنه في ألمه وغضبه، رد لها الضربة مستخدماً سلاح الخداع نفسه الذي استخدمته؟

وقفت تذرع غرفة مكتبها الصغيرة الخالية من النوافذ.. لماذا لم يواجهها بالوقائع.. اللوم يقع عليه كما يقع عليها. أسندت جبهتها الى خزانة الملفات المعدنية الباردة.. واجهي الواقع... أنت الملامة. أنت من غششته وكذبت حتى تدخلي بيته... أنت من جبنت عن إبلاغه الحقيقة. لا عجب في أن يقلب الطاولات في وجهك، ويأخذ زمام المبادرة في اللعبة التي بدأت بها أنت. لقد لعب معتمداً قواعد لعبتك أنت، وكسب الجولة.

حتى أمر اليكس غدا واضحاً.. فلماذا لا يرغب في قضاء وقت مع مثيلاتها بعدما فعلته هي معه؟

أجل.. ثمة ما لن تفعله.. شيء واحد تقوم به يوفر عليه الالم النهائي... يوفر له عزة النفس. ومسحت دموعها بظاهر يدها وابتعدت عن مكتبها.

تخطت أنيتا سكرتيرة رئيستها وفتحت الباب على الرغم من احتجاج المسكينة:

ـ آنسة هاردستي في اجتماع.. لا يمكنك الدخول.. أرجوك آنسة كوين...

قالت أنيتا بسرعة:

ـ مارغو... يجب أن أتحدث إليك. أعرف أن ما أقوله لن يعجبك.

شهقت ووضعت يدها على فمها.. ففي الغرفة رجلان يجلسان قبالة رئيسة التحرير. أحدهما نحيل أصلع في حضنه كومة أوراق، والثاني موري لويد. ردت مارغو بهدوء:

ـ ادخلي أنيتا. كنت على وشك أن أطلبك. هذا السيد دانيال فيليبي... المحامي... أما السيد الآخر فتعرفينه طبعاً.

نظر إليها ببرود وتحفظ ثم صرف نظره عنها، وتابعت مارغو:

ـ جاء ليقول إنهما سيقاضياننا إذا نشرنا مقالتك. ولقد أكدت للسيد فيليبي والسيد لويد أننا حسب قانون حرية الاعلام نملك الحق في نشرها.

مال فيليبي الى الامام وتنحنح:

ـ ليس لديكم الحق آنسة هاردسي... فالآنسة كوين اقتحمت حق موكلي. فقانوناً يمكنه الاحتفاظ بسرية حياته الخاصة.

قاطعته مارغو بسرعة:

ـ ما من محكمة في البلاد توافق على ما ينص عليه قانون السرية الخاصة... إن فتح قضية في المحكمة ستنتهك حياة موكلك السرية بشكل كبير لذا يبدو لي....

ـ يبدو لي آنسة هاردستي إنك لست مطلعة على آخر المستجدات في هذا السياق. ربما بامكان القسم القانوني عندكم...

خطت أنيتا الى داخل الغرفة وقالت بصوت واضح مبقية نظرها على مارغو:

ـ سأوفر عليكما هذا النقاش كله. لقد دخلت الى هنا لأقول لك إنني لن أكتب المقال مارغو... فليس لدي معلومات عن السيد مورتيمور لويد.

ران صمت كبير صاحت بعده مارغو مصدومة.

ـ عمَ تتحدثين أنيتا؟ لديك معلومات بالتأكيد.

ـ ليس بينها ما أريد إفشاءه.

ضاقت عينا مارغو:

ـ هيا الآن أنيتا... ماذا تريدين؟ إذا كانت هذه طريقة سخيفة لطلب علاوة...

ـ لن أكتب شيئاً عن مورتيمور لويد... وهذا قرار نهائي.

هبّت مارغو عن مكتبها صائحة:

ـ ليس لديك خيار في هذا. ملاحظاتك وأفلامك ملك للمجلة.

ابتسمت أنيتا:

ـ ليس هناك من ملاحظات أو أفلام. أتذكرين هذا؟

ـ هل أنت مجنونة.. سأرفع دعوة ضدك أنيتا.

هبّ المحامي عن كرسيه ونظر الى مارغو مقيّماً:

ـ هذا كلام مثير للاهتمام.. لكنه دون معنى. لماذا يصدقك موكلي آنسة كوين؟ دخلت منزله بادعاء زائف. وانتهكت حقه وخصوصيته. وها أنت تريدين الآن أن نصدق أنك لن تستخدمي المعلومات التي اكتسبتها؟ أخشى أننا لن نصدقك.

قالت مارغو بصوت ملؤه الشر:

ـ ولا المجلة كذلك.. أتظنين أن بامكانك بيع مقالتك لمجلة أخرى؟ أحذرك أنيتا.. محامونا...

قاطعها المحامي:

ـ بالطبع.. إذا وقعت لنا تصريحاً آنسة كوين.. سنعتبره ملزماً لك قانونياً...

ـ أنيتا.. تباً.. أجيبي.. هل اتصل بك تيد غراندیو مؤخراً من مجلة «الاخبار الخاصة»؟ سأمزقه إرباً إرباً..

صاح موري بصوت شرس وهو ينهض أيضاً:

ـ توقفا عن هذا. لن يوصلنا الجدل الى شيء.

ثم التفت الى أنيتا:

ـ لم يسأل أي منكما السؤال المنطقي. لماذا لن تكتبي المقال؟

بللت شفتيها بلسانها وسحبت نفساً عميقاً ثم ردّت بهدوء:

ـ أنت على حق بشأن الحفاظ على خصوصيتك وسريتك.

ابتسم ببرود:

ـ يا لنبلك. لقد كذبت وتآمرت حتى تدخلي بيتي.

ـ موري...

ـ وها أنت ترين أن ما قمت به غير لائق. هيا أنيتا.. أعطينا سبباً أكثر اقناعاً من هذا.

ـ إنها الحقيقة. أرجوك موري.. صدقني. أشعر بالخجل من ذاتي.

صاحت مارغو:

ـ كم دفعت لك «الاخبار الخاصة»؟ لا يمكنهم شراء قصتك... لدينا عقد وقعته بنفسك...

قال فيليبي:

ـ ربما تتوقعين من السيد لويد أن يدفع لك تسوية ما.. يجب أن تعلمي أن هذا ابتزاز.

انهمرت الدموع على وجنتي أنيتا:

ـ لماذا لا تصدقوني؟ لا أريد شيئاً من أي كان!

قال المحامي:

ـ أعطيني سبباً واحداً حتى أصدقك آنسة كوين.

صاحت مارغو:

ـ أجل.. أود سماع السبب.

التفت المحامي الى موري:

ـ أعتقد أنهما خططا لهذه التمثيلية التي لن تغير موقفنا.

صاحت أنيتا بشراسة:

ـ توقفوا!

ران صمت مطبق في الغرفة، جعلهم يسمعون رنين الهاتف في المكتب الآخر، وتكتكة الساعة الكهربائية في الردهة الخارجية... كانت تعي تحديق مارغو الغاضب فيها، وتعبيرات فيليبي المتجهمة. لكن عينيها حطتا على موري وهي تهمس وكأن لا وجود لأحد سواه معها.

ـ لن أفعل شيئاً يؤلمك.. أعرف أنك تكرهني، ولا ألومك... لكن يجب أن تصدقني... لم أكن أنوي كتابة القصة حتى قلت لي تلك الكلمات الفظيعة.

راحت الكلمات تتعثر، غير مصقولة:

ـ منذ تلك الليلة حين ولدت المهرة، عرفت إنني لن أستطيع المضي في الامر. أردت أن أبوح لك.. يا إلهي كم وددت البوح... كنت خائفة موري، خفت أن تنظر إلي هذه النظرة.

تهدج صوتها ثم تلاشى.. سحبت نفساً عميقاً ثم همست:

ـ أحبك موري.

وما هي إلا هنيهة حتى ارتدت تولي هاربة من صراخ مارغو ومن نظرة موري متجاهلة وقع الاقدام خلفها. متمنية لو تقع ملايين الاميال بينها وبين هذا المكان. لكن الباب الذي أغلقته، تعالت عليه الطرقات.

ـ أنيتا.. أنيتا! افتحي الباب.

إنه موري.. رفعت يديها تغطي عينيها.. ألم يكفه اعترافها وذلها؟ اللعنة! ماذا يريد من تعويض أيضاً.

ـ أنيتا.. افتحي الباب.. تباً.. سأحطمه!

أغمضت عينيها وهو يحرك المقبض.. لقد علق الباب مجدداً.. وهذا أفضل لأنها بذلك لن تتمكن من مواجهته.

فتحت عينيها بذهول على صوت تحطم الخشب، طقطقة الباب الذي تحطم داخل الغرفة الصغيرة.. وقف موري عند العتبة، يسد المدخل ومنافذ الهرب، إلا أنها لمحت وجوهاً مذهولة في الردهة قبل أن يستدير ليعيد الباب المحطم الى مكانه.

قطع الغرفة في خطوتين:

ـ ألم أمرك بفتح هذا الباب اللعين... فلماذا لم تردي؟

ارتدت الى الحائط وكأنها تود أن تدفعه عنها بالضغط على سطحه الذي لن يلين:

ـ موري.. لا تفعل.. لا تفعل.. أرجوك.

أغمضت عينيها وقد دنا منها لكنها قالت لنفسها إنها تستحق كل ما قد يفعله بها. انتظرت كلماته الغاضبة ويديه القاسيتين.

ـ اللعنة عليك أنيتا... يجب أن أضعك على ركبتي وأضربك.

ـ لا ألومك... لكن ليس لدي إلا الاعتذار...

ـ انظري إليّ.

فكرت في الباب المحطم، فرفعت إليه بصرها بهلع.

ـ كرري ما قلته في مكتب هاردستي... كرريه ثانية.

هزت رأسها وحمرة الاذلال تشعل خديها، وتنفست بقوة.. ثم قالت:

ـ أحبك.. هل اكتفيت الآن؟

توقف الزمان معلقاً وهي تنتظر ردة فعله.. كانت أصابعه تحفر عميقاً في كتفيها، ثم خفف الضغط:

ـ أجل.. اكتفيت.

تنهدت وانكفأ رأسها الى الامام.

ـ إذن.. أرجوك ارحل الآن... أتوسل إليك.. ارحل.

لكن ذراعيه اطبقتا بقوة مفاجئة جعلتها تشهق.

ـ لن أتركك أبداً أنيتا.. فأنا أيضاً أحبك.. أحببتك منذ البداية.

خفق قلبها كجناحي طائر ضخم، وهمست:

ـ كيف تقول هذا؟ أنت تعني...

ـ نعم أعني أنني أحبك. ولهذا أردت إيلامك ذلك اليوم. كان حبك يملأ عليّ كياني. ثم اكتشفت من أنت. حاول فرنسوا الاتصال بي في مونت كارلو ليبلغني عن تقديم موعد فيلمي الجديد وبينما كان يمازح صديقي في القرية سأله الاخير ما إذا كان يريد الاتصال بلندن ثم ذكر له مخابرتك، فتعجب فرنسوا وارتاب، فما كان منه إلا أن طلب منه الرقم الذي طلبته وهو الرقم الذي جربته بنفسي. وحين عرفت أنني أتحدث مع مجلة النخبة، كان أول ما فكرت فيه خيانتك لي. يا إلهي ما أشد ما كانت عليّ تلك اللحظة.

تحركت بين ذراعيه لتتمكن من النظر إليه:

ـ موري.. أردت أن أعترف لك مراراً. لكنني كرهت نفسي وخداعي لك وعندما عرفت مشاعري تجاهك خشيت ألا تسامحني على كذبي خاصة وأنني أعرف مدى كرهك للصحافة التي سببت مأساة لزوجتك.

ـ كانت زوجتي مريضة أنيتا. كانت مريضة قبل أن تستهدفني مقالات التشهير.. لكنني استسهلت لومهم بدل الاعتراف بأن حالتها لن تتحسن. وكنت على حق بشأن فضول الناس المتعلق بحياة الممثل خارج الشاشة.

ـ موري، عندما عدنا من مونت كارلو، قلت إنك تريد إخباري

أمراً قد يغير كل شيء. . . فإذا كان ذلك أنك لست مستعداً للالتزام، فسأفهمك.

ـ أظن أنني أعلنت التزامي.

ـ أعني التزاماً دائماً.

ـ أمهليني ساعة حتى أقنعك بأنني مستعد.

ـ لكن ماذا عن أليكس؟

ـ هذا ما أردت أن أحدثك عنه. كنت أريد الحديث عن هذا الجزء من حياتي.

أجبرت نفسها علي الابتسام:

ـ لابد أنها تعني لك الكثير.

ـ نعم هو يعني لي الكثير، يا حبيبتي.

ـ ماذا.. قلت هو يعني؟

ـ أجل. . هو أليكسندر، ابني. . لقد أنهى لتوه عامه الخامس.

ـ ابنك؟

ـ خشيت أن أذكره لك أنيتا. خاصة وقد عرفت المشاكل التي عانيت منها في زواجك الماضي بسبب الاطفال. أردت مرة أن أبوح لك بسري لكن عندما سمعتك تقولين إنك ما عدت تهتمين بموضوع الاطفال وأنك لا تريدين سواي منعت نفسي عن ذكر ما يفسد علاقتنا.

هزت رأسها ووضعت يدها على فمه:

ـ لا تفه بالمزيد. . لا أصدق سوء التفاهم هذا. ما أردت منك أن تعرف إلا أنني لست كزوجتك. . . قلت لي إنها كانت تكره العزلة، وأردتك أن تعرف أنها تسعدني. يا إلهي ولداً. أيكون لدى ولد أحبه وأربيه. إن هذا لرائع.

ـ أوتطلبين يدي يا امرأة؟

احمر وجهها ودفنت رأسها في صدره:

ـ أهذا ما أفعله؟

ـ أتمنى. . لأنني أكره أن أخيب أمل جانيت.

ـ جانيت. . وما شأنها بهذا؟

ـ هي ترى أنه أزف الوقت حتى أحيا مع أليكس حياة طبيعية. . . لقد ولد قبل موعده باسبوعين ولم يكن هناك من معين على ولادته إلا جانيت. وبعد ولادته، ازداد هوس سيلين واضطرابها. كانت تقنع نفسها بأن شيئاً رهيباً سيحدث لابنها إذا عرف أحد به. . . فأخفينا أمر ولادته. أعرف أنه جنون، لكن بعد موتها قررت ابقاء الامور على ما هي عليه، معتقداً أن اخفاء سر ولادته سيحميه من الاضواء.

ـ لكنه صغير جداً موري. . ألا يمكن أن يبقى معنا؟

ـ ستكونين أمه يا حبيبتي. . والقرار لك.

تنهدت بسعادة:

ـ أمه. . . لكن هل سيحبني؟ هل سيريدني؟

ـ سيحبك ويتعلق بك. فله ذوق أبيه. .

سمعا دقة خفيفة على الباب:

ـ أنيتا؟ هل أنت على ما يرام في الداخل؟

ـ يا إلهي إنها مارغو. . ماذا سنقول لها.

ضحك وضمها الى جانبه:

ـ دعيني أتكلم. . .

وخرجا الى الردهة المكتظة بالموظفين الفضوليين:

ـ دانيال. . انسة هاردستي. . لدينا اعلان هام. . لقد سوينا خلافاتنا واتفقنا على أن نعطي مجلة النخبة الحق الحصري في نشر صور زفافنا.

ـ زفاف؟

سرت الكلمة كالصدى بين المجتمعين.

ـ زفافنا الذي سيجري هذا المساء.

صاحت مارغو دهشة لا تصدق ما تسمع:

ـ هذا المساء؟

انحنى موري ليقبل أنيتا المشدوهة وهمس لها:

ـ العمدة صديقي. الشهرة في بعض الاحيان مفيدة.

أخذ المجتمعون يفسحون الطريق وقد تحركا عبر الممر. وما إن وصلا الباب الى فسحة الاستعلامات حتى أمسكت مارغو ذراع أنيتا وقالت مقطوعة الانفاس:

ـ من المثير الحصول على هذا الحق الحصري عزيزتي.. لكن متى ستعودين؟ كنا سندون اسمك على صفحة جديدة تكون خاصة بك.

تألق وجه أنيتا فخراً وسعادة وهي تقول بنعومة:

ـ لدي اسم جديد خاص، سيكون: السيدة مورتيمور لويد!

● ● ●

www.elromancia.com